مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 02 ص.ص: 53-87

نشاط الحركة الوطنية الجزائرية من خلال أرشيفها الصحفي

The activity of the Algerian national movement through its press archive

عبد الحليم قادري، جامعة باتنة1، الجزائر، kadriabdelhalim937@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2023-08-08 تاريخ قبول المقال: 2023-09-07

الملخص:

اعتمد الاستعمار الفرنسي في تعزيز وجوده في الجزائر على ما كان يصدره من صحف سيارة ناطقة بالفرنسية والعربية، وهذا ما جعل النخبة الجزائرية تقف على خطورة الصحافة في الترويج للسياسة الاستعمارية، وفي المقابل على أهمية هذه الأخيرة في الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري وحريته، فبادرت إلى إصدارات صحفية تكون لسان حال الحركة الوطنية التي ظهرت كبديل عن المقاومة المسلحة، وهذا بعدما نضجت العديد من الأسباب لذلك، وقد سجلت الصحافة العربية الجزائرية حضورها بقوة في الكثير من المواقف والقضايا التي ناضلت فيها الحركة الوطنية، وكذلك الرد على القوانين التعسفية التي أصدرتها الإدارة الفرنسية في حق الشعب الجزائري، هذا ما أزعج وحرك الحقد الاستعماري نحوها، فتعرضت للتوقيف والتغريم والمصادرة، وخاصة الصحافة الإصلاحية ك "المنقذ" و"الشهاب" و"الأمة"، وقد انعكس هذا على قادة الحركة الوطنية، فتعرضوا للسجن والنفي والتعذيب، لكن رغم هذا التضييق إلا أنها حققت الكثير من لإنجازات أهمها إيقاظ الوعي الوطني التحرري عبر الأحزاب الوطنية والجمعيات والنوادي، وكذلك المحافظة على مقومات الأمة في بعدها العربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية، أرشيف الصحافة الجزائرية، الإدارة الفرنسية.

Abstract:

French colonialism strengthened its presence in Algeria by relying on its press releases, which made the Algerian elite stand on the danger of the press in promoting colonial policy, and in contrast to the importance of the latter in defending the rights and freedom of the Algerian people, and initiated press releases that are the mouthpiece of the national movement that emerged as an alternative to armed resistance, and this after many reasons have matured, and the Arab Press has registered its presence strongly in many positions and issues that the National Movement has advocated as well as the response to the laws. This was reflected in the leaders of the national movement, who were imprisoned, exiled and tortured, but despite this restriction, they have achieved many achievements, the most important of which is to awaken the national liberal

consciousness through national parties and clubs, as well as to preserve the nation's constituents in its Arab and Islamic dimension.
Key words : Algerian Arab Press, National Movement, French Administration**.**

مقدمة:

إن ظهور الحركات الوطنية في العالم من حتميات النضال السياسي المنظم الذي تفرضه المطالب الوطنية، وهذا ما جعل الحركة الوطنية الجزائرية يسمح لها بالظهور والخوض في العملية السياسية التي يفرضها الواقع الاستعماري الفرنسي آنذاك وذلك بعد القضاء على الثورات الشعبية، إلا أن هذه الحركة الوطنية كانت في حاجة إلى من يجعلها أكثر انتشار وفاعلية، فكانت الصحافة الوطنية الجزائرية من بين العوامل التي راهنت عليها الحركة في إيصال صوتها ومطالبها على المستوى المحلي وعلى مستوى المتربول الفرنسي والعالمي، وعلى هذا الأساس تأتي دراسة هذا الموضوع حتى نقف على العلاقة التكاملية بين الحركة الوطنية والصحافة الجزائرية في إيقاظ الوعي الوطني وترشيد الطاقات النخبوية في العمل السياسي الذي يحقق مطالب الحركة.

وعلى ضوء ما تطرقنا إليه فإن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع تطرقت إلى جوانب أخرى، كالحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية، أو القضايا الوطنية البارزة في الصحافة العربية الجزائرية، أو دور الصحافة الإصلاحية ذات التوجه الإسلامي أثناء الاحتلال، إلى غير ذلك من الدراسات التي تناولت مواضيع شغلت اهتمام رواد الحركة الوطنية، ولغرض الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع اعتمدنا المنهج التاريخي الذي يعتمد بدورة على الوصف والتحليل لأهم القرارات والنشاطات التي قامت بها الحركة الوطنية ونقلتها الصحف الوطنية ومبينة في ذلك أبعادها الاستقلالية والإصلاحية والتوعوية.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نبرز نشاط الحركة الوطنية الجزائرية من خلال أرشيفها الصحفي، وللإلمام بهذا الموضوع لم يكن من السهل تناول كل الصحف الصادرة عن الحركة الوطنية خاصة بين الحربين وذلك لتنوعها وكثرة عددها، وهذا ما جعلنا نركز على الصحف البارزة والتي تركت ثقلا إعلاميا كبير وذلك من خلال تمثيلها للتوجهات الوطنية التي كانت تنشط على الساحة الوطنية.

لقد مرت القرون الثلاثة الماضية على العالم العربي تحديدا بهجمة أوربية استعمارية، كان من نتائجها تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات العربية، وقد كان المجتمع الجزائري ضحية لهذه الهجمات، حيث تعرض لمشروع استعماري استيطاني فرنسي استهدف من خلاله إلى ضرب وحدته الاجتماعية والاقتصادية والمتمثلة في "**القبيلة والأرض**" مستغلا في ذلك تنوع تركيبة المجتمع الجزائري عرقيا ولغويا، ولا سبيل للرد على هذه السياسات الكولونيالية إلا المقاومة كخيار استراتيجي لكل الشعوب المستعمرة، فكانت

المقاومات الشعبية كالثورات والانتفاضات والتمرد الفردي والجماعي يفرضه الواقع الاستعماري، هذا ما أرغم الإدارة الفرنسية على إعادة النظر في إستراتيجيتها العسكرية بعد معاهدة الأمير ومقاومة أحمد باي، إلا أن المقاومة الشعبية المسلحة عرفت تراجعا كبيرا وذلك بعد الحرب العالمية الأولى، لتبدأ مقاومة من نوع آخر أفرزتها أوضاع العالم الجديد في المشرق العربي والغرب المسيحي، ونتيجة لذلك ظهرت في الجزائر الفرنسية العديد من الوجوه تمثل صفوة النخبة الجزائرية لتأخذ مسارا آخرا يؤسس لظهور معارضة سياسة قوية تتصدى لكل المخططات الاستعمارية، فكانت يومها المقاومة السلمية تمثلت في الأحزاب والنوادي والجمعيات والنقابات، هذا طرح السياسي والأيديولوجي الجديد عرف عند المؤرخين بمصطلح "**الحركة الوطنية**" رافق هذه الحركة في مسارها النضالي الطويل الإعلام الصحفي الذي كان ينقل ويتابع ويحلل ويكتب كل كبيرة والصغيرة رغم البدائية وقلة الخبرة والرقابة الاستعمارية المفروضة عليه، وهذا ما يضعنا أمام إشكالية تقودنا إلى طرح عدة تساؤلات مفادها: **إلى أي مدى استطاع الإعلام الجزائري الناطق باللغتين أن يحرر أعلام الحركة الوطنية؟ وهل كان في مستوى الإعلام المضاد" الإعلام الاستعماري الفرنسي" في التعامل مع المادة الخبرية في كسر جدار الصمت الذي فرضه التعتيم الإعلامي للسلطات الفرنسية على القضية الجزائرية، وهل وفّقت الصحافة العربية الجزائرية في نقل مطالب الحركة ونشاطها وفكرها الوطني التحرري إلى المحافل الدولية، وهل يمكن للمؤرخين وأصحاب الاختصاص الاعتماد على أرشيف الصحافة الوطنية في إعادة كتابة تاريخ ونشاط الحركة الوطنية؟**

المبحث الأول: تحديد المفاهيم

المطلب الأول: التعريف بالصحافة: اشتقت الصحافة من لفظ "**صحيفة**"، والصحيفة هي الطومار المكتوب، وقد كان في الزمن القديم، أي قبل اكتشاف الطباعة، أناس يحترفون النسخ، فينسخون الكتب مقابل مقدار من المال، والشخص الذي يمتهن الكتابة في الصحف، أو يحترف نقل الأخبار من مكان إلى مكان، يقال له صحفي (بفتح الصاد والحاء)[1]، والصحافة في كل شعب ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها.[2]

1-عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:88

2- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ت ط 2003، ص:11

المطلب الثاني: التعريف بالحركة الوطنية: وهي مجموع المنظمات السياسية والإصلاحية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وعملت على تربية وترقية الشعب، والدفاع عن مصالحه، والنضال في سبيل افتكاك حقوقه السليبة.[1]

المطلب الثالث: الإدارة الفرنسية: وهي الإدارة المحلية بالجزائر التابعة للإدارة المركزية بباريس، وقد أنشئت هذه الإدارة لرعاية الأهالي وتسيير شؤونهم في كل المستعمرة، وقد مرت هذه الإدارة بتغيرات في نظام الحكم نتيجة تأسيسها على نظام خاص يهدف إلى تكريس الاستعمار وتوسيع الاستيطان، وقد مرت بتجارب عدة غير متناسقة أدت إلى اختلافات بين المسئولين الاستعماريين حول الطريقة المثلى في استعمار الجزائر وإدارتها.[2]

المبحث الثاني: البدايات الأولى لنشأة الصحافة الجزائرية:

إن الكلام عن نشأة الصحافة الجزائرية يجعلنا مقيدين بالعامل الاستعماري الذي أفرز بدوره العديد من العوامل في الداخل والخارج ،هذه العوامل التي ساهمت وعملت في اتجاه واحد فأفرزت واقعا إعلاميا ظهر على إثره العديد من الصحف الجزائرية.

المطلب الأول: العوامل الداخلية والخارجية في نشأة الصحافة الجزائرية:

1. العوامل الداخلية:

1.1. ظهور الإعلام الفرنسي في الجزائر الفرنسية: جاء في كتاب المرآة لحمدان خوجة وهو يتكلم عن سياسة التحايل التي انتهجتها فرنسا لتهدئة الجزائريين وطمأنتهم عن بلدهم ومن يحكمها بعد تخليصهم من الأتراك العثمانيين حيث يقول:(لقد كان المارشال بورمون يقول للسكان ويوهمهم بأن الجيش الفرنسي لن يبقى في الجزائر أكثر من ستة أشهر، وكان يقول أن تلك هي نية الحكومة، وعندما يشرع في الجلاء فإنني أترك البلاد بين أيدي أعيانها وتحت تصرفهم)[3]، لم يكن من السهل أن تجد هذه الخطابات رواجا وقبولا بين فئات الشعب على اختلاف مداركهم الفكرية والعقلية من أول لقاء ومن أول خطاب، ولذلك عكفت الإدارة الفرنسية في الجزائر على إيجاد قنوات ثقافية وتعليمية أخرى تكون وسيلة سهلة في تمرير خطابتها السياسية

1- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر، ج1، ص:361

2- وليد بوشو، الحكومة العامة وتطورها ضمن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر(1830-1939)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة الجزائر02، أبو القاسم سعد الله، المجلد05، العدد02، السنة2021، ص638-653.

3-حمدان بن عثمان خوجة، المرآة تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP، ص:181.

والوصول إلى الطبقات السفلى من المجتمع الجزائري، فكانت صفحات الجرائد وسيلتها الأولى في التّمكين لإدارتها ونشر قوانينها ودعاياتها على نطاق واسع.

فنشر هذه الخطابات بشكل سريع وفعال يضمن على الأقل الاستقرار العام وتهدئة الشعب الرافض للدخيل الجديد، فبادرت السلطات الفرنسية إلى إصدار أول صحيفة في الجزائر باسم "**بريد الجزائر**"[*] جريدة سياسية وتاريخية وعسكرية، حيث تُعتبر أول تجربة صحفية في شمال إفريقيا، عُرفت فيها لأول مرة آلة الطباعة وصناعة الصحافة، وكان لهذه التجربة نتائجها الهامة فيما بعد بالنسبة للرأي العام الجزائري. إلا أن هذه الصحيفة كانت تحمل أخبار الحملة ومستجداتها إلى الحكومة الفرنسية بفرنسا[1]، وبعد مرور عامين عن الاحتلال الفرنسي للجزائر أصبح لزاما على فرنسا من أي وقت مضى مخاطبة الشعب الجزائري، فتمثل ذلك في الإصدارات القانونية المكثفة، حيث اعتمدت سلطات الاحتلال على النشرات العامة أو ما يعرف "**بالمعلقات العامة**"، إلا أن ظهرت جريدة "**المرشد الجزائري**" في 27 يناير سنة1832، فتخصصت في نشر قرارات القيادة العامة الخاصة بمقاطعة الجزائر، أما مقاطعتي عنابة ووهران فاستمرت المعلقات العامة فيها.[2]

ويبدو أن قادة الاحتلال قد تراجعوا وتخلوا عن فكرة تسليم البلاد لأهلها بعد طرد الأتراك العثمانيين، فالسياسة التي انتهجوها بعد ذلك تكشف نواياهم وتعري أطماعهم، فقد بادروا بحملات توسعية شملت متيجة والبليدة والمدية، بالإضافة إلى ذلك مصادرة أملاك الوقف وأملاك الجزائريين، وعلى هذا الأساس لجأ قادة الاحتلال إلى إصدار صحيفة أخرى يعلن فيها للجزائريين تلميحا لا تصريحا أن السياسة تغيرت والأطماع توسعت، وأن الجزائر فرنسية، فكانت صحيفة "**المرشد الجزائري**""**المونيتور الجيريان**" في يناير1832، تُسوق لهذا الخطاب حيث أنشأت لها قسما باللغة العربية مكتوبة بأسلوب ركيك لا يكاد يقرأ، ومع ذلك ف "**المونيتور**" من هذه الناحية تعتبر أول صحيفة نشرت قسما بالعربية في الجزائر قبل ظهور "**المبشر**" سنة1847، غير أنه لا يمكن اعتبار "**المونيتور**" أول صحيفة بالعربية في الجزائر، ومهما كان الأمر فإنه من الأكيد أن الجزائريين قرؤوا أخبار بالعربية في أول صحيفة فرنسية تطبع في الجزائر سنة 1832، كما

*-ويقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله (نشأت الصحافة في الجزائر كانت فرنسية بلا منازع، وأول محاولة على الأرض الجزائرية كانت في 26 يونيو 1830 عندما سحبت أعداد من صحيفة تدعى "الاسطافيت" بالمعسكر الذي أقامه الجيش-الفرنسي في سيدي فرج، وقد كانت تحمل أخبار نجاح الحملة وسقوط حكومة الداي، ودخول الجيش الفرنسي إلى القصبة)، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي بيروت، ط1، ت ط1998، ج5، ص:213.

1-عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر 1954 -1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص:25.

2-المرجع نفسه، ص:26.

أنها كانت أول صحيفة يمكن اقتناؤها وقراءتها.[1] وأمام هذا الإصدار الأول المتمثل في "**المرشد الجزائري**" أيقنت سلطات الاحتلال أن الإصدارات الصحفية في هذه المرحلة خطوة ثمينة وانجاز كبير نحو التّمكين والانتصار لسياستها والتعويل عليها في هذا الوقت أمر مهم في استمالة الجزائريين وكبح وطنيتهم وتشتيت عزمهم على الأقل، كما كانت ترمي أيضا من وراء ذلك إلى نسخ كل المعاهدات والالتزامات التي التزم بها الجيش الفرنسي في الأشهر الأولى من دخول العاصمة أمام النخبة الجزائرية التي كان يترأسها حمدان خوجة وغيره من الوجهاء، وعلى إثر ذلك توالت الإصدارات الصحفية بصفة مكثفة في جهات مختلفة من البلاد، فكانت صحيفة "**الأخبار**" 1833 التي اهتمت بعدة قضايا مهمة كالوضع السياسي في الجزائر والنزاعات بين العسكريين والمدنيين، وكذلك تطرقت للعديد من القضايا التي تهم العالم الإسلامي، وقد أضيف لها قسما عربيا سنة 1903، وفي وهران صدرت صحيفة "**ليكودوران**" سنة1843، وفي المنطقة الشرقية عنابة صدرت "**سيبوس**" سنة1844، وفي سكيكدة وقسنطينة "**الصفصاف**"، و"**المستقل لانديباندان**"، و"**جورنال قسنطينة**"، وفي العاصمة "**الأطلس**"، و"**الجزائر الجديدة**"، كذلك"**صحيفة الجزائر الفرنسية**"[2]، وبهذا التوزيع الصحفي المكثف على المناطق المضطربة في البلاد انطلاقا من الجزائر العاصمة إلى وهران إلى قسنطينة وعنابة تكون الإدارة الفرنسية في الجزائر قد سخرت لسياستها الدعائية ترسانة هائلة من الصحف السيارة تمكنها من قراءة استقصائية جيدة للأحداث، كما تتولى فيها الرد على الزعماء السياسيين الناشطين في جميع الهيئات الممثلة للشعب الجزائري.

2.1. ظهور الصحف الفرنسية المعربة: لم يكن مردود النشاط الصحفي الذي تقوم به الإدارة الفرنسية في الجزائر على درجة عالية من الاستجابة بين فئات الشعب التي لا تعرف لغة المستعمر الفرنسي ولا تفهمها، وعليه فقد قررت سلطات الاحتلال معالجة هذا العزوف بمخاطبة الشعب الجزائري بلسان حاله، الأمر الذي استدعى إصدار صحيفة أخرى سنة 1847 اسمها "**المبشر**"، وذلك لكي يتسنى لكثير من الجزائريين فهم خطاب الإدارة الفرنسية وما تريده من خلال قوانينها الإدارية، كما تسعى فرنسا بواسطة هذه الجريدة التأثير على الرأي العام الجزائري وإحداث استجابة واسعة تخدم المشاريع الاستعمارية المستقبلية، ومما لاشك فيه أن تجربة إصدار جريدة "**المبشر**" كانت لها أثر إيجابي على شريحة من الشعب، إذ قربتهم من مشاكل عصرهم ومن مشاكل الفن الصحفي خاصة بالنسبة للفئة المثقفة بالعربية والتي كانت من الصعب عليها الاستفادة من الصحافة الفرنسية المقصورة على الأقلية الجزائرية التي تجيد الفرنسية.[3]

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص: 214، 215

2-المرجع نفسه، ص:216، 217.

3-عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:28/27.

ومن هذا التاريخ، وبواسطة هذه الجريدة عرف الجزائريون فن تحرير الصحف باللغة العربية، بعدما عرفوه باللغة الفرنسية، حيث كانت المبادرة التي قام بها الجنرال "دوماس" ثورة في هذا الفن بالنسبة للجزائر، بقطع النظر عن استعمالها للأغراض الاستعمارية، ولكننا نقصد الجانب الفني والصحفي ومعرفة الجزائريين له[1]، فكان محررها الأول الشيخ أحمد البدوي إلى سنة 1886حيث خلفه السيد علي بن عمر، ثم بن سماية، ثم محمد بن مصطفى بن خوجة ثم السيد شرشالي ومحمد بن أحمد وغيرهما حتى انتهت إلى السيد كحول سنة1907.[2]

ورغم الإشراف والهيمنة الفرنسية على هذه الصحيفة وغيرها، إلا أن تسجيل حضور بعض الجزائريين في إخراجها تعتبر خطوة مهمة وإنجاز لا يستهان به في تعبيد الطريق إلى صحافة مستقلة عربية اللسان جزائرية الوطن إسلامية العقيدة، وإلى جانب صحافة سلطات الاحتلال، كانت صحافة المعمرين الأوربيين تسجل حضورها بالجزائر تعبيرا عن آراءها ومواقفها تجاه ما يحدث، وخاصة في السياسة الفرنسية التي كانت في الكثير من الأحيان تقابل بالنقد اللاذع من طرفها، فقد كانت بمثابة السلطة الموازية لسلطات الاحتلال، وهذه السياسة المناهضة كانت عامل مشجع للجزائريين، حيث استطاعت هذه الصحافة بما كانت تتمتع به من حريات وما تمارسه من سلطات أن تفتح ثغرة في جدار الخرافة الخاصة بقوة فرنسا التي لا تقهر، وذلك من خلال النقد الذي كانت توجهه هذه الصحف للسياسة الفرنسية، وقد انعكست هذه الحرية التي كانت تمارسها صحف المعمرين على المثقفين الجزائريين وخاصة الذين تتلمذوا في المدارس الفرنسية، فأدركوا أهمية الدفاع عن حقوقهم، والتعبير عن مطالبهم أسوة بالأقلية الأوربية التي استطاعت استخدام حقها في هذا الميدان بمهارة وذكاء، كما اقتنع المثقفون الجزائريون بأهمية الصحافة كوسيلة فعالة للنشر، و ذلك لتوصيل مشاكلهم ومطالبهم إلى المسئولين في الحكومة الفرنسية.[3]

2. العوامل الخارجية:

1.2. عامل الهجرة نحو المشرق العربي: ساهمت الظروف المعيشة التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري في خلق العديد من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وخاصة الأمنية منها التي فرضت بدورها عامل الهجرة الداخلية والخارجية، وبشكل واضح الهجرة الخارجية التي عرفها الشعب الجزائري إلى المشرق العربي جعلته يحتك بالطبقة المثقفة هناك، ويطّلع على أحوال العالم العربي والإسلامي، هذا ما

1-زبير سيف الإسلام، رواد الصحافة الجزائرية، مطبعة دار الشعب بالقاهرة، ط 1، ت ط1401هـ/1981م، ص:11.
2-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص:34.
3-عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص29.

شجع وفتح الباب أمامهم لولوج عالم الصحافة بقوة، فظهرت أقلام كثيرة ومتنوعة كتبت وتفاعلت مع العديد من القضايا العربية والإسلامية وخاصة القضية الجزائرية، ومن الصحافيين الجزائريين المرموقين في بلاد الشام الصحفي سعيد بن قاسم الجزائري محرر عدة صحف في دمشق مثل :"**الاستقلال**"" **الجزيرة**" "**الأيام**" "**القبس**" "**الكفاح**" "**النظام**" "**النقاد**" "**هنا دمشق**" "**دمشق المساء**" و"**عصا الجنة**" وغيرها، ومن الصحفيين أيضا يحيى يخلف الأمين العام السابق لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، والذي نشر العديد من المقالات الصحفية ذات الطابع السياسي على الأغلب فضلا عن الكتابة الأدبية.[1]

2.2. عامل الصحف الواردة: لم تكن القضية الجزائرية غائبة عن الوجدان والتضامن العربي والإسلامي الذي كان يتابع باهتمام المعاناة التي كان يعيشها المجتمع الجزائري، فقد كانت الصحف العربية الصادرة في كل من تونس ومصر وسوريا وغيرها من البلدان تتناول الظلم الاجتماعي وما يرتكبه المستعمر الفرنسي من فضائح وفظائع وأعمال البطش والإرهاب في حق الشعوب، كما لعبت هذه الصحف دور كبير في إيقاظ الوعي الوطني عند الجزائريين وتشجيعهم على مواصلة نضالهم وذلك بالصمود والتصدي لكل المخططات الاستعمارية ، فقد كانت هذه الصحف الوارد إلى الجزائر بمثابة الزاد الفكري والسياسي والثقافي للنخبة الجزائرية، حيث كانت تصل إلى الجزائر من مصر وغيرها من البلاد العربية بطرق عدة عبر تونس والمغرب، وذلك بواسطة الحجاج الذين يعودون من البقاع المقدسة، وتارة عبر الحركة التجارية الوافدة من أوربا، ومن بين هذه المجلات والصحف مجلة "**العروة الوثقى**"التي أسسها جمال لدين الأفغاني ومحمد عبده، ورغم قصر عمرها فقد لعبت دورا هاما في توطيد الصلة بين المسلمين وفتح عيونهم على العدو المشترك وهو الاستعمار الذي اكتسح العالم العربي.[2]

وبعد توقف "**العروة الوثقى**" خلفتها مجلة "**المنار**"[3]التي كان هدفها نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وقد كان لها قراء دائمون في الجزائر، إلى جانبها كانت جريدة "**المؤيدة**" التي كان

1-زبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ت ط:1982، ص:122.

2-العروة الوثقى: صدر أول عدد منها في 13 مارس 1884م في باريس، وآخر عدد صدر منها كان في 16 أكتوبر من نفس السنة، وقد بلغت جملة الأعداد التي صدرت منها 18 عددا، و توقفت عن الصدور نهائيا نتيجة لمحاربة الاستعمار لها، للمزيد أنظر: جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، ط3، دار العرب، القاهرة، 1993، ص 22

3-مجلة المنار: تأسست بالقاهرة سنة 1898م، لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا، توقفت عن الصدور سنة 1935م بعد أن ظهر منها 34 مجلد، للمزيد أنظر: عمار طالبي، ابن باديس حياته و آثاره، ج1، ط1، دار اليقظة العربية، الجزائر، 1996، ص 33.

يصدرها الشيخ علي يوسف في القاهرة.[1]، وهناك روافد أخرى تسربت عن طريقها الجرائد والمجلات تمثلت في البعثات الطلابية المقيمة في هذه البلدان، يضاف إلى ذلك عامل الإشهار الصحفي، فكثيرا ما كانت دور الصحف التونسية ترسل مبعوثين عنها في جولات استطلاعية وإشهارية عبر مختلف المدن الجزائرية للتعريف بالمجلة أو الجريدة، وبالتالي توسيع شبكة قراء الصحف بمختلف اهتماماتهم الفكرية والسياسية[2]، هذا ما جعل زعماء الحركة الوطنية في الداخل يتفاعلون مع هذا المد الصحفي الوارد من الخارج ليدركوا أهمية ربط النشاط الوطني مع عالم الصحافة، ومن هنا كانت البداية للعديد من الأحزاب الوطنية الناشطة على الساحة، وقد تبنت العمل الصحفي السري والعلني لنشر أفكارها وأطروحاتها الأيديولوجية والوطنية[3]، وهذا ما جعل المفكر الفرنسي "جان ميرانث" يعبر عن قلقه من تأثير الصحف المشرقية وما يمكن أن تحدثه في نهضة الفكر الجزائري فقال: "يوجد مجرى سري من الصحف والمجلات الشرقية، ولكنه غزير ومتواصل، لقد أعانت هذه الصحف المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية".[4]

كل هذه الأسباب تداخلت وتفاعلت بشكل أو بآخر لتعطي في الأخير صحافة جزائرية حرة مستقلة عن صحف الإدارة الفرنسية وعن وصايتها، وهذا لتكون أحد أعمدة الحركة الوطنية ولسان حالها .

3.2. ميلاد أول صحيفة الجزائرية: لم يكن ظهور أول صحيفة جزائرية في البلاد بالأمر السهل والمسموح به في ظل تعنت السياسة الفرنسية التي كانت تفرض رقابة صارمة على كل نشاط يقوم به الجزائريون، وفي خضم هذا الوسط المتشنج ظهرت أول صحيفة جزائرية بعنابة سنة 1894 أطلق عليها اسم "**الحق**"، وكانت تظهر في كل أسبوع مرة حتى بلغت عددها الخامس عشر، وقد كان سليمان بنقي وعمر السّمار وخليل قائد العيون يشرفون على إصدارها، ثم توقفت عن الصدور بدسيسة من يهود الجزائر[5]، ومع حلول العشرية الأولى من القرن العشرين، شهدت الفترة من1900-1911م صدور صحيفتين جزائريتين هما جريدة "**المغرب**" التي صدرت في الجزائر العاصمة من 1903-1913م وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، وقد قال عنها الشيخ محمد عبده: **(أنها رغم عيوبها تمثل بالنسبة للجزائريين شعاعا مضيئا نظرا لأنهم كانوا**

1-جريدة المؤيد: صدر العدد الأول منها في أول ديسمبر سنة 1889م، وتوقفت عن الصدور عام 1913م، المرجع السابق، ص: 100.

2-سليمان بن رابح، العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين(1919-1939)، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008، ص:59

3-عبد السلام عكاش، الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية والجزائرية 1945-1954، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، السنة الجامعية 2016-2017، ص:107

4-محمد حمدان وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص:69

5-محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى1954، ألفا ديزاين، المحمدية، الجزائر، ط1، ت ط2006، ص:25.

محرومين من الصحف التي تنطق باسمهم وبلغتهم القومية)[1]، أما الصحيفة الأخرى فهي "**المصباح**" التي أصدرها العربي فخار باللغتين العربية والفرنسية1904-1905م بمدينة وهران.[2]

ورغم التضييق ومصادرة الحريات التي بالغت الإدارة الفرنسية في تجسيدها وفرضها على الجزائريين، إلا أن النخبة الجزائرية لم تدخر جهدا في مواصلة إصدارتها الصحفية التي عرفت رواجا في تلك الفترة، وقبل الحرب العالمية الأولى بقليل صدرت العديد من الصحف أبرزها "**البريد الجزائري**"، "**الإسلام**"، و"**الحق الوهراني**"، و"**ذو الفقار**"، و"**الفاروق**"....[3]، ولم يكن ظهور هذه الصحف دون وازع أو الدافع، بل كان ظهورها ردا على الصحف الفرنسية الناطقة بالعربية والتي كانت تروج للسياسة الفرنسية ولأحزابها، كما راحت تجرم قانون التجنيد الإجباري الذي فرض على الجزائريين مما كان له الأثر البالغ في هجرة العديد من الجزائريين نحو المشرق العربي ومناطق أخرى، بالإضافة إلى مسايرتها للوضع العالمي الذي كان يسوده نوع من التوتر بسبب الحرب العالمية الأولى التي بدأت تظهر بوادرها، وبهذا تكون الصحافة الجزائرية قد وظفت قلمها في بدايات موفقة وذلك بتطرقها إلى العديد من المواضيع الخاصة بشأن الداخلي للجزائر، وكذلك الشأن العام في المشرق العربي والغرب المسيحي، ومع مطلع عشرينيات القرن الماضي والذي تصدر بإصلاحات قامت بها الإدارة الفرنسية في الجزائر مقابل وقوف الجزائريين مع فرنسا في الحرب العالمية الأولى، وقد جاءت هذه الإصلاحات على مضض من الإدارة الفرنسية، رغم أنها حملت العديد من العقبات والنقائص، وعلى هذا الأساس لم تعبر عن آمال كثير من الجزائريين الذين أصيبوا بخيبة أمل كبيرة وخاصة النخبة الجزائرية ، فإن هذه الإصلاحات الهزيلة التي اقترحها الحاكم العام للجزائر السابق "جونار" على الحكومة الفرنسية قد خلفت إحباطا كبيرا لدى جميع المثقفين الجزائريين الذين كانوا يتطلعون إلى تمثيل نيابي في البرلمان الفرنسي ومن ثم الضغط على الأوربيين في الجزائر من حكومة باريس[4]، فلم تكن هذه الإصلاحات لتمضي هكذا دون أن تترك أثر، بل دفعت النخبة المثقفة الجزائرية أن تأخذ بزمام الأمور نحو حراك سياسي سلمي في اتجاهات مختلفة، أو ما سمي بالحركة الوطنية، هذه الأخيرة التي اعتمدت في نشاطها على

1-عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:30.

2-محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى1954، المرجع السابق، ص:31.

3-عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:31.

4-عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، ت ط1997، ص:219.

وسائل العمل السياسي الملائم للمرحلة، كالصحافة والانتخابات والنقابات، والمطالب المنظمة، حيث ظهرت في شكل جديد وأضفى عليها مزيدا من الحيوية.[1]

المبحث الثالث: الصحافة العربية الجزائرية والحركة الوطنية جنبا إلى جنب:

لم تكن الحركة الوطنية في هذه الآونة متمكنة بالقدر الكافي لإيصال صوتها، وذلك نظرا للعين الراصدة والقبضة المحكمة من طرف الإدارة الفرنسية، فكانت الصحافة ملاذها الوحيد في إسماع صوتها إذا ما وجدت وتوفرت الحرية اللازمة والكافية، وقد كانت هذه المرحلة الثانية من ظهور الصحافة العربية الجزائرية، والتي تبدأ بعد الحرب العالمية الأولى وتحديدا سنة 1919م، حيث اكتسب الجزائريون مهارة صحفية جعلت من الإدارة الفرنسية تنظر في شرعية اللغة العربية، لأن القوانين الإدارية آنذاك تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، وبالتالي يطبق على الصحف الصادرة بها قانون الصحافة الأجنبية وعلى هذا الأساس كانت الصحافة العربية الجزائرية تعاني اضطهادا لاسيما تلك التي تبنت قضايا وطنية واضحة

وقد مثّلت الصحافة مختلف الاتجاهات الوطنية داخل الوطن وخارجه فكانت الصحافة الاستقلالية والاندماجية والإصلاحية.

المطلب الأول: الصحافة الاستقلالية: وهي الصحافة الناطقة باسم التيار الاستقلالي، الذي ظهر تحت اسم "نجم شمال إفريقيا" وسط العمال المهاجرين المغاربة بفرنسا في 6 جوان1926، ثم انتقل إلى الجزائر في مطلع الثلاثينيات القرن العشرين ليصبح تحت اسم "**حزب الشعب الجزائري**" ثم ليتجدد بعد الحرب العالمية الثانية إلى "**حركة انتصار الحريات الديمقراطية**".[2]، ونظرا لحركية هذا التيار ونشاطه خارج الوطن وبشكل ضئيل في الداخل، لم تكن أفكاره ومطالبه الاستقلالية تصل لعامة الناس من الجزائريين ، فكانت الصحافة كوسيلة للدعاية واستنهاض الهمم ونشر الوعي السياسي للأمة الجزائرية التي كانت في هذه الآونة لا تجد بديلا عن الدعاية الاستعمارية للسياسة الفرنسية، فبادر حزب النجم إلى إعادة إصدار صحيفة " **الإقدام**"

1. صحيفة "الإقدام": أصدر الحزب الإصلاحي جريدة "**الإقدام**" في سبتمبر1920 محتوية على صفحتين باللغة العربية وأربع صفحات باللغة الفرنسية، وقد كان الأمير خالد مسئولا عن الصفحات المحررة باللغة العربية، وراحت "**الإقدام**" تعرب عن اتجاهها الوطني الواضح، رافضة للتجنس رفضا قاطعا، ومطالبة بتمثيل الأهالي الجزائريين بالبرلمان الفرنسي، ومقاومة نزعة المعمرين الكولون، كما نددت أيضا بالعديد من

1-أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود ومحمد عباس، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص:59.

2-يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:74.

العائلات الجزائرية البرجوازية المتفرنسة التي كانت محمية بالإدارة الفرنسية[1]، كما كان التركيز أيضا على متابعة الانتخابات والتجاوزات الحاصلة فيها وانشغالات الجزائريين في المجالس الانتخابية، وكذلك التنديد بسلوك المتجنسين وبني "وي وي"، وردت الصحيفة على تهجمات الصحف المناوئة، وكذلك متابعة جميع المواقف والتطورات بشأن القضية الوطنية[2]، كما نبهت الجريدة إلى خطورة عدم الوعي بأهمية اختيار الشخص المناسب لتمثيل الجزائريين فجاء في صفحاتها" إن الأوضاع الحالية والسيئة التي يتخبط فيها الجزائريون تعتبر أزمة صعبة ولحلها ومعالجتها تحتاج إلى أكفاء بمعرفتهم لاحتياجاتنا".[3]

ونظرا للجرأة التي تناولت بها "**الإقدام**" مواضيع الساعة من نقد وتلميح وتصريح، وتعرية الخبث الإداري للسياسة الفرنسية، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تتخذ قرارا نهائيا بشأنها، ففي سنة 1928طلب الكولون بوضع حد "**للإقدام**"، حيث اتهموها بأنها خطر وشيوعية، وطالبوا الحكومة الفرنسية بعدم التسامح، لأنها تسمم الرأي العام لرعايانا وتوجههم ضد الوطن.[4]

وعند ميلاد "**نجم شمال إفريقيا** " في المهجر بفرنسا، و تبنيه رسميا فكرة استقلال الجزائر، عاود إصدار جريدة "**الإقدام**"، والتي كان يصدرها الأمير خالد، لكنه أصدرها بعنوانين على التوالي "**الإقدام البارسي**" ثم "**الإقدام الشمال الإفريقي**" وكان الإقدام في كلا الحالتين بالفرنسية ، حيث تبنت مبادئ الأمير خالد في التحرير الوطني واسترجاع الهوية والمساواة[5]، لكن الإدارة الفرنسية لم تكن تسمح بسياسة التحريض التي تقوم بها التشكيلات السياسة في الداخل والخارج، حيث كانت الإقدام الباريسي تنشر المبادئ التي تم التأكيد عليها خلال الاجتماعات الأولى للنجم، وكذلك الحث على استقلال الشمال الإفريقي وإجلاء للقوات الفرنسية، وتشكيل حكومة ثورية هذا ما جعل السلطات الفرنسية تسارع إلى توقيفها، فعاودت الظهور بتغيير اسمها وهو "**إقدام الشمال الإفريقي**".[6]

فتغير الاسم وبقيت المطالب والأفكار والغايات لم تتغير، حيث خصصت عددها الصادر في ماي 1927 لفضح مساوئ الاستعمار الفرنسي، كما نشرت بنفس العدد المطالب التي تقدم بها الشاذلي خير الله

1-محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص:53-55.

2-عبد القادر كرليل، تطور الصحافة الوطنية (1919-1939)، مجلة مصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة .الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، العدد13، 2006، ص:66.

3-El hadjAmmar, Les élections et les jeunes algériens, L'Ikdam,N° 34, 17 november1919, p01

4-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، ت ط1992، ج2، ص:342

5-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص:267

6--محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1939)، تر: أمحمد بن البار، وزارة المجاهدين، الجزائر، ج1، ص:247

إلى مؤتمر بروكسل المناهض للاستعمار، أما عدد جوان وجويلية من نفس السنة فقد تضمن بيانا إلى الأفارقة الشماليين في الجزائر وتونس والمغرب وإلى المجندين منهم خاصة يدعوهم إلى الوقوف ضد الحرب الدائرة في المغرب آنذاك، وفي عدد ديسمبر وجهت اللجنة دعوة إلى الثورة ضد فرنسا[1]، هذه الدعوة الثورية اعتبرتها السلطات الفرنسية تحد وخروج عن المألوف من المطالب، فلم تنجح الصحيفة بأن تضمن الخلف لسابقاتها، حيث صدر الأمر بتوقيفها.[2]

إن سياسة التوقيف التي باشرتها الإدارة الفرنسية ضد الصحف الوطنية في داخل الجزائر وفي فرنسا لم تثن الشباب الجزائري المتحمس الذي عقد العزم على المضي قدما في تحرير بلاده، ولذلك كانت إصداراته الصحفية تتوالى دون انقطاع فبعد توقيف صحيفة "**إقدام الشمال الإفريقي**" أصدر جريدة "**الأمة**"

2. جريدة الأمة: لسان حال نجم إفريقيا الشمالية في أكتوبر 1930، ولمصدر العدد الأول من جريدة "**الأمة**" يرد فيها بالعربية سوى الآية القرآنية في يمين اسم الجريدة "**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**"[3] فالآية التي وضعت على واجهة الجريدة لدلالة واضحة على إيمان التيار الاستقلالي بالعمل الجماعي كفريضة على كل النشطاء على الساحة السياسية ، ولا يترك على سبيل النافلة مما يفتح الباب للتفرقة والخصام فتضيع الجهود وتضعف العزائم، وهذا ما جعل الجريدة تعلن منذ ظهورها بأنها تدافع عن مصالح الجزائريين وتونسيين والمغاربة عامة دون تفريق، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تمنعها من دخول إفريقية الشمالية فكانت توزع سرا، وذلك لأنها كانت تهتم بأخبار الحركة الوطنية ورجالها ومواقف السلطات الفرنسية من الشؤون الأهلية ومطالب الجزائريين وأخبار الحركات الوطنية في العالم، ولاسيما أخبار الوطن العربي والعالم الإسلامي[4]، فصدر العدد الأول في أكتوبر سنة1930، تحت إشراف مديرها السياسي مصالي الحاج، فكان أسلوبها حماسي ولهجة عنيفة في تعليقها على الأحداث ، حيث تهدف من وراء ذلك إلى رفع الحماس الوطني لدى الجزائريين، وإعدادهم للتضحية والوقوف وراء النجم أو حزب الشعب، فكانت تعمل على إطلاع الرأي العام الفرنسي على معاناة الشعب الجزائري، وزيادة على ذلك كانت الأمة تبث روح الثبات في نفوس مناضلي الحزب ورفع معنوياتهم، ودعوتهم للصمود أمام عمليات القمع البوليسية، فكانت تدعم دعوتها بأقوال مأثورة مثل قول مصطفى أتاتورك "**بإمكانكم هدم القسطنطينية، ولكنكم لن تقووا على**

1-محمد الصالح خرفي، تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر مجلة آمال نموذجا، طريق الدورية بابا حسان، الجزائر، ص:103

2- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص:274

3-أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ت ط1986، ج1، ص:248.

4-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية 1930-1945، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط4، ت ط1992، ج3، ص:122. ص:122.

هدم الشعور القومي لدى الشعب"[1]، كما كانت تنشر وقائع الحياة السياسية بالجزائر والأخبار المتعلقة بالحزب ونضالاته الوطنية في الجزائر وفرنسا، ففي سنة 1934كانت فترة نشاط غير عادي في تاريخ النجم وتمثل النشاط في عقد الاجتماعات والكتابات الصحفية والمناشير والمشاغبات، وكانت صحيفة "**الأمة**" تعكس كل هذا النشاط وتصوره خير تصوير، ففي12 فبراير من نفس العام جرت مظاهرتان في باريس، وقد دافعت "**الأمة**" عنهما واتهمت الفرنسيين وقالت بأن الفاشستيين كانوا وراء القمع الذي استعملته السلطات ضد المتظاهرين، وكتبت "**لقد اخترنا طريقنا وهو توحيد قوانا مع القوى العاملة للنضال ضد الفاشية لكي نحصل على حرية الصحافة وحرية الاجتماع ولكي نصل إلى تحررنا الكامل**"[2]، وعندما اتهمت السلطات الفرنسية المتظاهرين بالعنف والنهب والاغتيال، ردت "**الأمة**" على ذلك "**إننا وطنيون ، ولا نوافق على اللجوء إلى النهب ولا الاغتيال ولا الحرائق**"، غير أنها اعترفت بأن الجزائريين قد حملوا العلم الوطني، واعتبرت ذلك حقا من حقوقهم، لأنهم ليسوا فرنسيين بل عربا، وقد عاب الفرنسيون حزب النجم على وصف مدينة الجزائر بأنها عربية، ، لكن جريدة "**الأمة**" استغربت من ذلك، وقالت بأن المدينة عربية من أمد بعيد، لكن القانون الفرنسي قد حولها فرنسية قهرا وعدوانا[3]، إلى جانب هذا لم تكن "**الأمة**" غافلة عن القهر الاجتماعي الذي يعانيه الشعب الجزائري، فقد دعت جميع أهالي شمال إفريقيا أن يعبروا عن سخطهم ضد قانون الأهالي، والقوانين الاستثنائية والفقر، وأن يطالبوا بحقوقهم السياسية والتعليم والحرية.[4]

ولم يكن حزب النجم ولا جريدته الناطقة باسمه "**الأمة**" يكفان عن تعرية السياسة الفرنسية ومطالبة فرنسا بالاستقلال وتحرير الشعب الجزائري، فقد أصدر الحزب عبارات حاسمة ضد فرنسا، حيث اجتمع العديد من الجزائريين في باريس وعبروا عن سخطهم ورفضهم للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ، كما نادوا بعبارة "الموت لفرنسا"، وقد استغربت "**الأمة**" كيف يتكلم زعماء فرنسا عن تضحيات محاربيهم من أجل أمتهم بينما يعيبون ذلك على الجزائريين، فقد جاء في جريدة "**الأمة**" إنهم يعبرون عن وطنيتهم وحبهم العظيم لأمتهم....فلماذا يتهموننا بالحماقة عندما نعبر عن نفس الارتباط بوطنيتنا، أليست العواطف والمشاعر مشتركة بين كل الناس؟"[5]

1-أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص:251.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص:127.

3-المرجع نفسه، ص:127.

4-المرجع نفسه، ص:128.

5-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص:128.

ونظرا للنشاط المتسارع للحزب النجم داخل فرنسا، عرّض زعماءه لمطاردة القانون الفرنسي فتم سجنهم، فكانت "**الأمة**" المحامي الأول لهؤلاء، حيث نظمت حملة لجمع التبرعات والدعاية لمبادئ النجم، كما نشرت صورة للبيع تجمع مصالي مع أحد الأعضاء، وكتبت عليها بالعربية"**من أجل الوطن والدين الإسلامي والحرية، و الاستقلال الكامل، و الدفاع عن المساجين بدون سبب ، وكل جريمتهم دفاعهم عن حقوق شعبنا المضطهد، شجعوا حركتنا بشرائكم الصورة**" وعليها مكتوب بالفرنسية" **يأيها المسلمون الشمال الإفريقيون....من أجل حقوقكم وحرياتكم السياسية، وللتعبير عن تضامنكم مع إخوانكم المعتقلين، شكلوا في كل مكان لجان الدفاع ملتفين حول "الأمة" التي تناضل من أجل تحريركم...وليسقط قانون الأهالي الفظيع**".[1]

واستجابة للمطالب الحزب، كانت "**الأمة**" تسجل حضورها في كل القضايا التي يباشرها النجم، فإلى جانب النصوص الأساسية المتضمنة لبرنامج الحزب ومطالبه ومواقفه من القضايا التي لا تلقى إجماع بين الأحزاب الوطنية، فكانت "**الأمة**" تدافع عن توجهات الحزب إلى درجة أنها كانت تقتبس من جرائد أخرى بقصد تعزيز موقف من مواقفه والتّأكيد على صحته[2]، كما تأسست حول هذه الجريدة جمعية تدعى "**أصداء الأمة**" كانت تعمل لتوضيح برنامج النجم الذي يتضمن الاستقلال، وتجمع التبرعات والاشتراكات دفاعا عن الجريدة ومناضلي النجم، وقد ظلت جريدة "**الأمة**" تصدر دون انتظام إلى سنة 1939حين إعلان الحرب العالمية حيث حجزت السلطات الفرنسية أعدادها وعلقت مكتبها[3]، لأنها نشرت مقال مست به وحدة التراب الوطني الفرنسي، أي تحدثت عن انفصال الجزائر عن فرنسا.[4]

وبتوقيف جريدة "**الأمة**" يكون حزب النجم قد خسر منبر إعلامي قدير، حيث شكّلت جريدة "**الأمة**" هاجسا مقلقا للإدارة الفرنسية وذلك بتطرقها للعديد من القضايا التي تحط من قيمة فرنسا كدولة تدعو للحرية والمساواة، فقد كانت جل مقالتها عرضا للظلم والقهر والاستبداد وللقوانين الاستثنائية ولقانون الأهالي المستبد، فقد كانت جريدة "**الأمة**" تكشف للنخب الفرنسية وللعالم أجمع صورة فرنسا وسياستها الاستعمارية في شمال إفريقيا والجزائر خاصة.

1-المرجع نفسه، ص:134.

2-صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين، وزارة الثقافة، قسنطينة، الجزائر، ص:513-514.

3-أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر1830-1962، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، ت ط2007، ص:117.

4-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص:268.

المطلب الثاني: الصحافة الاندماجية: وهي صحافة سياسية، كانت تصدر عن الاندماجيين، أو كما كان تدعى "فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين"، وكان معظم هؤلاء من جماعة النخبة مختارين من الإدارة الفرنسية، لذا كانت أفكارهم تتبنى سياسة الاندماج والثقافة الفرنسية[1]، ونظرا للحراك السياسي التي تقوم به الحركة الوطنية في سنوات العشرينيات القرن الماضي حيث صراع الأفكار بين الزعماء السياسيين بلغ أوجه، كانت جماعة النخبة تسوق لأفكارها عبر العديد من الصحف التي ظهرت بين سنة1919-1939ومن بينها

1. جريدة صوت المتواضعين: ظهرت صحيفة "**صوت المتواضعين** " في سنة1922، وهي لسان حال المعلمين من أصل أهلي يحررها قدماء الخرجين من المدارس الفرنسية ، ويذهب أحد المصادر إلى أن الذي أسس هذه الجريدة هو فرحات عباس سنة1925حيث كانت تطالب بالاندماج الكامل في فرنسا والتقارب مع الفرنسيين والعيش معهم تحت الراية الفرنسية[2]، وقد عبرت الجريدة عن توجهات ومواقف جمعية المعلمين الجزائريين والفئة التي تؤمن بأفكارهم من المجتمع الجزائري، كما كانت من أشد المدافعين عن فكرة التجنس الجماعي، داعية إلى نبذ كل التقاليد القديمة والسير في درب التقدم والحضارة الأوربية، حيث دعت الجمعية من خلال الجريدة إل تعميم التعليم واللغة الفرنسية.[3]

ونظرا للتوجه الاندماجي الذي تدعو إليه الجريدة، فقد تناولت مسألة التجنس بالجنسية الفرنسية مبرزة رأيها فيه باعتبارها قضية جوهرية تهم جميع عناصر النخبة التي تكونت في المدارس الفرنسية، فقد جاء في العدد54 ما يلي "**إن المسألة المتعلقة بتجنس الجزائريين "الأهالي" قضية لم تعط لها الأهمية القصوى، إن الصحافة الأهلية لم تهتم بها للأسف، إن قضية حصول النخبة عن الحقوق المدنية والسياسية تبقى مطروحة ، ومن مصلحة المجتمع أن نجد حلا في أقرب وقت ممكن**".[4]

كما أشارت الجريدة للمشاكل التي يعاني منها أغلبية الجزائريين، وأنها من خلال منبر الجريدة ستسعى جاهدة لحلها، كما تطرقت لسياسة الإخضاع والإذلال التي يعاني منها "الأهالي"، وهذا ما جعل الجريدة تدعو إلى إحلال سياسة التعاون والعيش بين الأوربيين والجزائريين وذلك للحفاظ على أمنهم ومصالحهم، كما اعتبرت اختلاط العرق الجزائري والأوربي من بين أسباب التطور وإحلال السلم في البلاد.[5]

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص:265.

2-المرجع نفسه، ص:266.

3-صافر فتيحة، حركة الشباب الجزائريين ظهورها وتطورها فيما بين1900و1930، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة أحمد بن بله1، وهران، الجزائر، السنة الدراسية2015-2016، ص:140.

4-La voix des humbles n°54 ; 1927 : 7

5-La voix des humbles n°1 ; 1922 : 1-2

كما طالبت جمعية المعلمين الاندماجية "الأهالي" بالتمثيل في البرلمان الفرنسي ، فقد نشرت الجريدة مقالا لأحدهم يقول "**إن التمثيل ليس نهاية لمعاناة الجزائريين، ولا يغير من وضعهم الاجتماعي مادام هؤلاء يعيشون في الجهل والفقر**"، واعتبر – صاحب المقال– من باب الإنصاف وجوب منحهم حق التمثيل في المجالس على اختلافها، ويكشف – صاحب المقال– أن التمثيل في المجالس لن يأتي بنتائج إيجابية لصالح الجزائريين، لأن الانتخابات تجري في ظروف تتميز بتدخل الإدارة الفرنسية لصالح فئة معروفة، مما يؤدي إلى إفراز منتخبين عاجزين ليس لهم الجرأة ولا القدرة لمواجهة تدخل الإدارة الفرنسية، مما يجعل الحديث عن قضايا المجتمع الجزائري يصطدم بالمواقف التي تبديها فئة المستوطنين في المجالس المحلية".[1]

كما اعتبرت "**صوت المتواضعين**" أن تمثيل النيابي لا يجدي نفعا مقارنة بالقضايا المهمة التي تهم الجزائريين "الأهالي" في واقعهم اليومي، فعامة الناس لا تعنيهم الانتخابات ولا يلتفتون إليها، فاهتمامهم منصب على تحصيل لقمة العيش في ظل تردي الحالة الاقتصادية والاجتماعية، ودعت الجريدة إلى تعليم "الأهالي "لأن ذلك يعمل على إزالة الحساسيات والأحكام المسبقة.[2]

وقد أشار المعلمون الجزائريون لمسألة تعليم "الأهلي" واعتبروها الوسيلة التي تسهل عملية الاندماج في المجتمع الفرنسي، وقد تبنى هذا الرأي سعيد فاسي في مقال دعا فيه السلطات الفرنسية إلى مباشرة عملية تعليم "الأهلي" فقال "**نعتقد أن الوقت قد حان لتعليم الجزائريين، لأن هؤلاء قد قدموا الولاء والوفاء في الحرب العالمية الأولى، وقد جاء دورهم ليعاملوا كما يعامل الإسبان والإيطاليين**" ثم أضاف "**من دون شك أن الجزائري "الأهلي" يعاني من الجهل وهذا ما جعله لا يقترب من الأوربي ولا يتعامل معه، وليس لنا سبيل لتقارب هؤلاء إلا بالتعليم، والدين الإسلامي يسمح بذلك، فهو دين التسامح بين الناس أجمعين**".[3]

ولم تخف النخبة الاندماجية ميلها لتعلم اللغة المستعمر، حيث دعت من خلال جريدة "**صوت المتواضعين**" كل الجزائريين إلى الحرص على تعلم اللغة الفرنسية وفي هذا الإطار صرح أحد الاندماجيين وهو السعيد لشاني قائلا "**يسعدني أن أرى اللغة العربية تختفي لتحل محلها الفرنسية في كل مكان حتى داخل الأسرة الجزائرية**".[4]

إن التوجه الاندماجي الذي اختارته المجلة ودافعت عليه وذلك من خلال عرض العديد من المواضيع التي شغلت رواد الحركة الوطنية، حيث كان موقفها مخالف بشكل كبير إن لم نقل صادما مقارنة بمواقف الأحزاب الأخرى خاصة ذات التوجه الإصلاحي الديني، فالمواضيع التي لها ارتباط واضح بمقومات الشعب

1-La voix des humbles n°2 ; 1922 : 6-7
2-La voix des humbles n°3 ; 1922 : 4
3-La voix des humbles n°01. 1922 : 5
4-La Voix des humbles , n42 , 1926.

الجزائري كالإسلام واللغة العربية والتجنس مع التّخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية كانت النخبة الاندماجية المتشددة ترى فيها التخلف والجهل وعدم مسايرة الحداثة، هذه المواقف أساءت بكثير لهذه النخبة وجعلتها في دائرة المغضوب عليها من طرف المجتمع الجزائري.

2. صحيفة المساواة "إقالتي": تعد صحيفة "**إقالتي**" من أطول الصحف الوطنية وأكثرها انتظاما في الصدور، حيث صدرت سنة1944، مع انقطاع عن الصدور لأكثر من عام عقب أحداث ماي 1945، فقد تأسست "**إقالتي**" قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية خلال ظرف حافل بالأحداث وطنيا ودوليا، وهذا ما شجع الحركة الوطنية على النشاط أكثر لتحقيق مكاسب، ومن بين هذه المكاسب إطلاق سراح مصالي وبقية المعتقلين، والاعتراف بالألوان الوطنية، وإقامة برلمان وحكومة وطنية، وفي خضم تلك التحولات الدولية والمحلية كانت "**إقالتي**" تعبر عن آلام الجزائريين وتدافع عن مطالب الحركة الوطنية، فكانت صحيفة النضال الوطني[1]، ولسان حال حركة أحباب البيان والحرية، حيث كانت تحمل مبادئ الحزب التي تتلخص في تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين أو كما قال فرحات عباس إنها تعني "**المساواة بين الرجال وبين الشعوب وبين الأجناس**"[2]، هذه المساواة التي يرى فيها الجزائريون أنها بعيدة المدى في ظل التعنت الاستعماري والقهر الاجتماعي، وقد جاء في افتتاحية "**إقالتي**" بقلم فرحات عباس "**إن الجزائر في وجهة نظر المسلمين لا تزال مستعمرة خاضعة لوصايا كبيرة، اليد العاملة مستغلة ولا تزال في حالة استعباد، وقد تمخض عن الأوضاع الاقتصادية أوضاع اجتماعية من جهل ونقص في العناية الصحية، أما سياسيا فتعسف الإدارة يظل هو القانون السائد ، نظام القياد والباشاغوات المخلف من الإدارة التركية لا يزال له الشرف في الحكم، والجمهورية الفرنسية لا تزال تتمسك به**".[3]

كما علقت "**إقالتي**" على مقال كتب في جريدة أخرى تحت عنوان "**الجزائر في حاجة إلى سفن من العدالة**"، في إشارة إلى أن المشكلة لا تكمن في استراد سفن من الحبوب من الخارج، ولكن في إقامة نظام يكفل العدالة والكرامة البشرية، ويصف المقال حال الجزائريين بأنهم يتألمون جوعا، فالمجاعة ترتبط بغياب العدالة، وعلية يجب اتخاذ إجراءات استعجاليه تبدأ بالجانب الاقتصادي".[4]

وفي ظل تدني المستوى المعيشي للجزائريين، يتكلم فرحات عباس عن سياسة الإدماج التي تخادع بها الإدارة الفرنسية الجزائريين، لكن هي في حقيقة الأمر سياسة استعمارية نهبت بها فرنسا خيرات الجزائريين

1-عبد السلام عكاش، الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية والجزائرية، المرجع السابق، ص:122

2-عبد القادر كرليل، واقع الصحافة الوطنية1945-1954، مجلة مصادر، العدد14، السداسي الثاني2006، ص:52

3-Egalité , 13 janvier 1947.

4-Egalité, 13 janvier 1947.

وتركتهم للجوع والجهل والفقر، فأصبح الإدماج والاستعمار سيان، وقد نقلت جريدة "**إقالتي**" الحوار الذي أجراه فرحات مع إذاعة الجزائر قائلا "**نريد للجزائر الشكل الفيدرالي، وهو أكثر منطقية، والذي يجب أن يخلف النظام الاستعماري المتهالك، والذي يجب أن يزول، قلناها لسنا انفصاليين....في حين الإدماج والاستعمار لا فرق بينهما هذه 116من الإدماج، وهي سياسة أفقدت السكان الأصليين شخصيتهم، حرمتهم من المشاركة من قريب أو من بعيد في إدارة شؤون البلاد، نريد دولة فيدرالية في إطار الاتحاد الفرنسي**".[1]

وفي إطار المؤتمرات والتجمعات التي تعقدها القوى السياسة في البلاد، كانت أحيانا الانتقادات والمشادات الكلامية والحرب الإعلامية بين الأحزاب الوطنية تتصدر المشهد السياسي، فقد كتبت جريدة "**المساواة**" على المؤتمر الذي أقامه حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، كما نقلت كلام زعيم الحزب فرحات عباس وهو يشيد بحزبه في التصدي للاستعمار الفرنسي معلقا على الأحزاب الأخرى بما يلي "**قبله كانت الإدارة وهي أكبر حزب منذ 117سنة، الحزب الشيوعي لديه36سنة، حزب كبير يريد الثورة البروليتارية وهذا لن يكون اليوم، حزب الشعب لديه16سنة كان سري وأصبح علني، وهو حزب وطني يريد محاربة الاستعمار بتوجيه نداء للقوى العربية**"، ثم يقول: "**وأنا عائد من باريس ليس للاستعماريين إلا عدو واحد هو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، فالخطر الحقيقي يأتي من اعتدال وديناميكية حزبنا الذي يطرح مشكلة على أرضية** القانون **والتضحية، أعتقد أن الجمهورية الجزائرية ستتحقق مرحلة بمرحلة**".[2]

وتماشيا مع النشاط المكثف للأحزاب الوطنية في داخل الجزائر وخارجها، كانت القضايا العربية والإسلامية تنال حظا من الوقت في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية، فالواجب المقدس الذي يفرضه الدين والانتماء كان زعماء الحركة الوطنية يتعرضون للقضية الفلسطينية ومستجداتها على الصعيد العربي والدولي، فقد نقلت جريدة "**المساواة**" موقف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من القضية الفلسطينية، فقبيل إعلان تأسيس الكيان الإسرائيلي، أصدر المكتب السياسي للحزب بيانا جاء فيه "**يستنتج المكتب السياسي أن الحرب ليست خارج الحسابات رغم الوعود المقطوعة من هيئة الأمم المتحدة، فالحزب يندد بالإمبريالية الصهيونية باعتبارها السبب في النزاع القائم بين اليهود والعرب، والتي هدفها تحطيم الجهود العربية القائمة لأجل تحريرها**".[3]

كما نقلت "**إقالتي**" استنكار واحتجاج حزب الاتحاد الديمقراطي في 1947 على النشاط الصهيوني في الجزائر والمعسكرات السرية لليهود الصهاينة، وكذلك ضد التدريب الممنوح لعناصرها، واعتبر البيان تلك

1-Egalité, 06 septembre 1946
2-Egalité, 10 octobre 1947.
3-Egalité, 07 mai 1948

الأعمال الموجهة ضد فلسطين هي في نفس الوقت أعمال عدائية ضد عرب الجزائر، مما يمكن أن يفجر روح العنصرية بين مختلف سكان الجزائر.[1]

كما وضّحت جريدة "**المساواة**" من خلال الحزب كيف أن المنظمات الصهيونية في الجزائر أصبحت تنشط في وضح النهار وأمام السلطات، فتقوم بتوزيع المنشورات الدعائية، ولا تتوانى الفدرالية الصهيونية لدعم فلسطين اليهودية في النشاط ولا تتورع في إخفاء لعبتها القذرة...[2]

المطلب الثالث: صحافة الحزب الشيوعي الجزائري: لم يكن الحزب الشيوعي الجزائري منسجما فكريا مع غالبية أحزاب الحركة الوطنية التي كانت تنشط على الساحة، وهذا ما يفسر أن المقاربة التي بنى عليها الحزب أفكاره وتصوراته للقضية الوطنية الجزائرية كانت تؤسس لسياسة المقاطعة مع الأحزاب ومع الشعب الجزائري الذي يحلم باستقلاله الوطني بعيدا عن الوصاية الفرنسية ، حيث تبنى الفكرة التي تلغي الأمة الجزائرية ككيان له تاريخ في الماضي ، فيقول في هذا الصدد" **إن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين**"[3]وعلى هذا الأساس كانت صحافة الحزب تعمل في هذا الاتجاه، فتدافع أحيانا عن برنامجها السياسي والاجتماعي ، وأحيانا أخرى تخصص أعدادها لرد على منتقديها من الأحزاب في سجال صحفي عنيف خاصة الصحافة الناطقة باسم النجم الذي يرى فيه خصمه العنيد في استقطاب البروليتاريا الجزائرية المسلمة[4]، ومن بين صحف الحزب صحيفة "الجزائر الجمهورية"

1. الجزائر الجمهورية: "**ألجي روبيبليكان**" أنشئت هذه الجريدة سنة1938، حيث كانت تندد بالبؤس والظلم والتمييز الذي يتعرض له السكان الأصليون، كما كانت الصحيفة تهاجم كبار المعمرين دون أن تتعرض للنظام الاستعماري، ومن خلال صفحاتها راحت تدعو إلى مساواة سياسية بين الفرنسيين والسكان الأصليين، أما التحرر الذي ينشده الجزائريون فلا وجود له على صفحاتها.[5]

فكانت "**ألجي روبيبليكان**" على عكس الصحائف الحزب الأخرى، فقد كانت متحرر بالقدر الكافي من إيديولوجية الحزب والتزاماته، الأمر الذي مكنها من التواصل مع كافة الأحزاب التي تنشط في الساحة الجزائرية، فقد كانت تصف نفسها أنها الصحيفة الأكثر ديمقراطية، ورغم أنها محسوبة على الحزب الشيوعي الجزائري إلا أنها كانت حرة في خطها السياسي، ولم تخضع للتوجيهات أو للضغوطات من الحزب، وهذا ما

1-Egalité, 09 juin 1948.
2-Egalité, 21 mai 1948.
3-مصطفى أو عامري، الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية(1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 21، جوان 2116م، جامعة تلمسان، الجزائر، 2116، ص :459
4-المرجع نفسه، ص:459.
5-هنري علاق، مذكرات جزائرية، تر: عبد السلام عزيزي و جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص:179.

جعلها تغطي في صفحتها نشاط الوطنيين واهتمامات الحركة الوطنية، وأحيانا تفتح صفحاتها للأقلام الوطنية عندما يمنعون من النشاط أو تمنع صحفهم من الصدور، وقد وصفها توفيق المدني بقوله:" **ألجي روبيبلكان تلك اليومية الصادقة التي اتخذت شعارا لنفسها وهو نصرة المظلوم**"[1]، هذا ما جعل الجريدة تخصص حيزا من صفحاتها للمسألة الوطنية ولمعاناة المجتمع الجزائري، فقد نددت الصحيفة بالعزلة التي يعاني منها الشعب الجزائري وكذلك التقصير الفاضح للسلطات الفرنسية في تقديم إصلاحات التي من شأنها رفع مستوى المعيشة للمواطن الجزائري، فقد جاء في أحد أعدادها "**غير معقول أن يقتصر الإصلاح على البلدان التي تحت الحماية الفرنسية فقط، فالمشاكل المطروحة لا يجب حلها بنفس الطريقة، لكن لابد من حلها في نفس الوقت، فصمت وسائل الإعلام والبرلمان حول هذا الموضوع لا يستطيع أن يبقي المسألة الجزائرية معزولة**".[2]

ونظرا للتوجه الشيوعي للجريدة فقد اهتمت بمستوى الحياة المعيشية للجزائريين، وذلك بنظرة ماركسية في إطار الصراع الطبقي، وعلى هذا الأساس أجرت "**ألجي ربيبليكان**"

العديد من التحقيقات والاستفتاءات للوقوف على المستوى المعيشي لسكان الجزائر، حيث عبر غالبية الجزائريين عن حياة البؤس والشقاء والجوع، كما عبر آخرون عن انشغالهم بتحرير البلاد، والدفاع عن الوطن وطرد الاستعمار، ولقد خلصت الجريدة إلى استنكار واسع للواقع الاجتماعي والسياسي.[3]

وفي إطار سياسة القمع التي تمارسها السلطات الفرنسية على زعماء الحركة الوطنية، فقد غطت الجريدة كل حوادث القمع المتمثلة في القتل والتهجير والنفي، كما ساهمت في المشاورات التي كانت بين الأحزاب الحركة الوطنية وذلك لتنظيم أسبوع وطني للكفاح ضد القمع، حيث اعتبرت الأحزاب الوطنية هذا مساسا خطيرا بالحريات الفردية وبالحياة السياسية التي تجري تحت أعين الإدارة الفرنسية[4]، كما وجه بعض قادة الأحزاب برقيات احتجاج إلى رئيس مجلس الأمن بالعاصمة على الأحداث الدموية التي جرت في بعض الأماكن، كما تضمن الاحتجاج قضية نفي مصالي الحاج.[5]

وعند إطلاق سراح فرحات عباس في 1946راح يعمل من أجل بناء منطق جديد للعلاقة بين الجزائريين والمعمرين وإقناعهم بحتمية التغيير والخروج بالجزائر من وضع المستعمرة التابعة لفرنسا لتأسيس جمهورية جزائرية، حيث طرحت فكرة إنشاء علم جزائري، لكن الإدارة الفرنسية رفضت الفكرة، وردا على ذلك

1-البصائر 26ماي 1952.

2-محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد وصالح المثلوني، دار موفم للنشر، الجزائر، ص:142.

3-Alger Republican, 02 October 1948.

4-Alger Républicain, 15 mai 1952.

5-Alger Républicain, 16 mai 1952.

حرر فرحات عباس مقال نشرته "**ألجي ريبيليكان**" يحمل العنوان "**بعد تصريحات ديبرو. لكن يجب إنشاء الجمهورية الجزائرية، ووضع الاتحاد الفرنسي موضع التطبيق**" ثم قال: هذا ما قال الوزير "**احتفظوا بمشروعكم للجمهورية الجزائرية، والشيء الوحيد الذي لا نقبل به هو العلم**"، ثم علق عباس يقول: "**الألوان الجزائرية ستكون لها قيمة حينما تصبح تتويجا للحريات الحقيقية، حينما تخلّص الديمقراطية بلادنا من بقايا الماضي الفاسد...**".[1]

ولم تكن جريدة "**ألجي ريبيليكان**" تراعي خطورة ما تنشره من مقالات تعارض السياسة الفرنسية ، هذا ما جعل السلطات الاستعمارية تضعها في دائرة المتابعة لجميع منشوراتها، وقد زاد الأمر عن حده فقررت الإدارة الفرنسية في 18جويلية1955 ألقاء القبض على رئيس تحريرها السيد هنري علاق ومجموعة من الصحفيين.[2]

وفي 12سيبتمبر 1955، أصدرت الحكومة الفرنسية قرار بحل الحزب الشيوعي الجزائري، وتبعا لذلك توقفت عن النشاط كل الجمعيات والمنظمات والجرائد التابعة له[3]، بما في ذلك جريدة "**ألجي ريبيليكان**" بعدما وضعت الخلافات الحزبية جانبا ونشرت العديد من المقالات لزعماء الحركة الوطنية رغم اختلاف الإيديولوجيات والرؤى، فقد سجلت حضورها في كل الملفات الساخنة التي خاضت فيها الحركة الوطنية، كما ساهمت في إظهار التعسف الاستعماري القمعي الذي يعاني منه المجتمع الجزائري في الداخل وفي المهجر.

2. الجزائر الجديدة: تصدرها هيئة الحزب الشيوعي بالجزائر العاصمة، حيث ظهر عددها الأول سنة1943م[4]، فقد كانت تخوض الجريدة في الأمور السياسية والثقافية والتربوية، وتهتم بما كان يتعرض له المجتمع الجزائري من اضطهاد السلطات الاستعمارية[5]، وفي هذا الصدد أبدت الجريدة رأيها في القضية الوطنية الذي يؤمن بها الحزب الشيوعي الجزائري ويدعو إليها،

حيث جاء في أحد أعدادها تحت عنوان "**الحل الصحيح للقضية الوطنية**" "إن تعزيز الكفاح السياسي واتحاد كافة الجزائريين المكافحين ضد الاستعمار حتى الشيوعيين والقوميين سيرغم الحكومة على المناقشة

1-Alger Républicain, 17 mai 1947

2-هنري علاق، مذكرات جزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص:2010-2011

3-جمعة بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة للثورة الجزائرية1954-1962، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الدراسية2011-2012،

4-مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء2003، ص:186

5-عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دار هومة، الجزائر، ج2، ت ط2009، ص:258

مع ممثليهم الحقيقيين للشعب الجزائري، وبهذه الطريقة فقط تسوى القضية الجزائرية تسوية حقيقية"[1] ولم تكن الجريدة تخفي تذمرها من السياسة الفرنسية التي كانت مسلطة على جميع شرائح المجتمع، بدءا بمناضلي الحزب الشيوعي إلى رواد الحركة الوطنية مرورا بالمصلحين والعلماء ثم إلى عامة الشعب، فقد كانت تنتقد بشدة سياسة المحتشدات وحملات التفتيش والنفي والاعتقال والمداهمات العسكرية للقرى والمداشر والدواوير وما يحدث فيها من قتل وانتهاك للأعراض والتعذيب، وهذا ما جاء في مقال نشرته على صفحاتها "**كان الحزب الشيوعي الجزائري ولا يزال الهدف الأول لضربات المستعمرين الذين يعتقدون اعتقادا جازما بأنهم لن يتمكنوا من القضاء على الحركة الوطنية إلا بالقضاء على الحزب الشيوعي الجزائري، ولهذا فقد أصروا وأعلنوا في طلبهم بحله ومنع جرائده، غير أن مساعيهم منيت بالفشل أمام صمود هذا الحزب الذي يستمد قواه من أعماق شعبه وحركته الوطنية**".[2]

كما علق الشيوعيون عن مشاركتهم في الانتخابات التي تنظمها الإدارة الفرنسية، واعتبروها شكل مؤقت من أشكال الكفاح المستمر الذي لا ينتهي إلا بالحرية الحقيقية لهذا الشعب، حيث كتبت "**الجزائر الجديدة**" تقول: "**إن الشيوعيين يعتبرون الانتخابات ليست إلا شكلا مؤقت للكفاح العام والمستمر في سبيل الحرية، لهذا فإن الحزب الشيوعي الجزائري هو حزب العمل الفعال للعفو وللحقوق الديمقراطية، هو حزب الشجاعة والتضحية للشعب حتى الموت، هو حزب الاتحاد ، العامل الأساسي للجبهة الشعبية والمؤتمر الإسلامي الجزائري**".[3]

وانطلاقا من قناعة الحزب الشيوعي الجزائري أن تضافر الجهود بين الأحزاب الوطنية يمكّن الحركة الوطنية من تعزيز مطالبها وتخطي كل العقبات التي يفرضها المستعمر الفرنسي، في هذا الصدد أرسل الحزب إلى بعض الأحزاب يدعوهم للاتحاد، وهذا كما نقلته جريدة "**الجزائر الجديدة**" على صفحاتها تحت عنوان "**الحزب الشيوعي الجزائري يدعو حزب الشعب وحزب البيان والحزب الاشتراكي للاتحاد في الجبهة الوطنية**"

"في سبيل الكفاح المشترك ضد العدو الأكبر للجزائر وهو الاستعمار، وحزبنا أرسل إلى ثلاثة أحزاب المذكورة والشيخ الإبراهيمي بنداء حار لتوحيد جهود الجزائريين".[4]

1-جزائر الجديدة، العدد98، ص :01.

2-جزائر الجديدة، العدد 83، ص04 .

3-جزائر الجديدة، العدد السادس، السنة الأولى، ديسمبر1136، ص 1

4-الجزائر الجديدة، العدد السابع، السنة الثانية، جانفي 1133، ص 11.

وأمام المجهودات التي تقوم بها الأحزاب الوطنية في سبيل ترقية المجتمع الجزائري علميا وثقافيا ودينيا، كانت إدارة الاحتلال تعمل في الاتجاه المعاكس، وذلك بوضع سياسة تعليمية خبيثة تخدم بالدرجة الأولى لغة المستعمر وتعليمه المسيحي، وفي سبيل هذا قامت بمنع وغلق المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي الصحيح، حيث كتب جريدة "**الجزائر الجديدة**" مستنكرة هذه المنع والغلق" **لا تزال الإدارة الاستعمارية تتابع سياستها في محاربة التعليم باللغة العربية وحتى باللغة الفرنسية لتعميم الجهل، فإنها بذلك لا تزال تجرح عواطف الأكثرية الساحقة من الجزائريين، وتدوس على أفضل القيم الإنسانية، وذلك بمحاربة التعليم الخاص الذي يلجأ إليه الآباء أمام عجز الإدارة عن فتح مدارس جديدة، ونحن على يقين أن الإدارة الفرنسية لن تسمح للجزائريين بنشر التعليم خصوصا باللغة العربية التي يجب أن تأخذ مقامها اللائق في الجزائر**".[1]

ونظرا للحصار الذي تفرضه الإدارة الفرنسية على نشاط الحركة الوطنية، لم تسلم صحف الحركة من القمع الذي اتخذ أشكالا متعددة تمثل في الحجز والتغريم وسجن إدارتها ، وفي أحيان أخرى التوقيف النهائي عن الصدور، وهذا ما تعرضت له صحيفة "**الجزائر الجديدة**" بعدما نددت بجميع الأساليب القمعية للسياسة الفرنسية، فقد سجلت احتجاجها على صفحاتها بعدما منع العدد الأخير من الصدور "منع العدد الأخير من "**الجزائر الجديدة**" دون إعلام إدارة الجريدة، فإدارة جريدتنا تحتج بشدة ضد المنع وعدم إعلامها به، وتطالب مع بقية الصحف الوطنية والديمقراطية باحترام حرية الصحافة والتعبير"[2]، وأمام تعنت الإدارة الفرنسية والتي لا تبالي بردود فعل الحركة الوطنية ولا بصحافتها ، ظلت الجريدة تقاوم، فكان صدورها غير منتظم ، حتى توقفت عن الصدور نهائيا في سيبتمبر 1955م.[3]

المطلب الرابع: الصحافة الإصلاحية" صحف جمعية العلماء المسلمين": أدرك التيار الإصلاحي في الجزائر في هذه الفترة أن المطالب السياسية التي تنادي بها النخبة الاندماجية لا تكون ذات أثر فعال إذا ما كان الشعب الجزائري في منأى عن دينه ولغته وقد أخذ منه الجهل والأمية مأخذا لا يحمد، فمزاوجة الجهل بالسياسة لا يحقق المنشود ولا يردع العدو ولا يؤسس لدولة في قادم الأيام، وعلى هذا الأساس تحرك علماء الإصلاح في كل الاتجاهات، فكانت الصحافة المكتوبة لسان حالهم والجزء البارز في نشاطهم، ولم تكن الحركة الإصلاحية بالضرورة ممثلة في جمعية العلماء، فجذور الإصلاح في الجزائر يعود إلى عهد

1-الجزائر الجديدة، أوت1948.

2-الجزائر الجديدة، العدد 83، المرجع السابق، ص04.

3-محمد حمدان،، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، ص81.

النهضة أي إلى أفكار الشيوخ: الونيسي، والمجاوي، وابن سماية، وابن الميهوب وغيرهم.[1]فالحركة الإصلاحية أعم وأشمل وأسبق من جمعية العلماء، وإن كانت هذه الأخيرة نتاج للأولى، لأن بعد قيام جمعية العلماء وظهورها كمنظمة قوية، لم يكن جميع المصلحين قد انظموا إليها، بل أن بعضهم ظل خارج عنها.[2]

وعلى هذا الأساس فالصحف الإصلاحية العديدة التي ظهرت في مرحلة العشرينيات لم تكن كلها تابعة للجمعية، لكن الشيء الثابت أن هذه الصحف كانت تعمل جنبا إلى جنب مع صحف الجمعية في طريق المسار الإصلاحي والثوري المتفق عليه ، فحملت هم هذه الأمة وسعت لتنويرها والرّفع من زادها الروحي والفكري والمعنوي، وهذا ما جعل الحركة الإصلاحية التي تجاوزت المرحلة العمل الفردي في العقود الماضية، تقتنع وتعي جيدا بأن العمل الإصلاحي والتوعوي أمام هذه المأساة الإنسانية التي يعيشها الشعب الجزائري لا تسعفها الجهود المشتتة والعقول المتناحرة، بل يجب على صفوة العلماء من المتصدرين للعمل الإصلاحي أن تتضافر جهودهم وتتوحد لخدمة المصالح العليا للأمة ونهوض بها، وقد كان ذلك كذلك عندما أصدر ابن باديس جريدة "**المنتقد**" عام1925، كان شعارها(**الحق فوق كل شيء، والوطن قبل كل شيء**)، ثم استهل المقال بـ:(**بسم الله، ثم بسم الحق والوطن، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه**).[3]

لكن "**المنتقد**" كانت تنتقد الوضع بشدة فصدر الأمر بإيقافها، فأصدر ابن باديس في نفس العام "**الشهاب**"، وللحفاظ على استمرارها حاول ابن باديس التكيّف مع الظروف السياسية الراهنة، وفي نفس الوقت كان صلبا في تأدية رسالته الإصلاحية والدفاع عن حقوق الشعب[4]وعلى هذا الأساس رأى علماء الإصلاح أن الواجهة الحزبية أو الجمعوية كفيلة بتحقيق الكثير من الأهداف المرجوة على المدى القريب والبعيد، فكانت جمعية العلماء سنة 1931 قفزة ناجحة في مسار الحركة الوطنية والإصلاحية وضربة موجعة للإدارة الفرنسية، وحتى تكون الجمعية أكثر فاعلية وذات شأن، ويسمع لها حين تقرر بين القوى الفاعلة في الساحة الوطنية، لم تكتف بالجانب التبليغي عن طريق الدروس في المساجد والمحاضرات في النوادي، بل كانت الصحافة الوسيلة الأكثر نجاعة في إيصال صوتها، فتوالت إصدارات الجمعية، فكانت "**الشريعة**" و"**الصراط**"

1-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج2، ص:294.

2-بو صفصاف عبد لكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية1931-1945، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، ت ط1981، ص:82

3-أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ،الجزائر، ت ط:1985، ص:141.

4-المرجع نفسه، ص:142

و"**السنة**" و"**البصائر**" في عهدها الأول، ثم صدرت "**البصائر**" في قسنطينة في عهدها الثاني قبل الحرب العالمية الثانية، وأوقفت الإدارة الفرنسية ثلاث صحف لجمعية العلماء وهي "**السنة**" و"**الشريعة**" و"**الصراط**" وهكذا استمرت "**البصائر**" بين 1935و1939دون توقف، لكنها توقفت تلقائيا سنة1939، حتى لا تضطرها ظروف الحرب إلى نشر مالا يتماشى مع مبادئ الجمعية.[1]

هذا الموقف الذي اتخذته الجمعية، يدرج ضمن العديد من المواقف السياسية التي أبدت فيها الجمعية رأيها، فلم تكن في منأى عن السياسة منذ أن ظهرت، وحتى على الجانب الفردي من أعضاءها قبل تأسيسها، فقد كانت الصحافة "**اليقظانية**" والمتمثلة في "**الأمة**" و"**الباديسية**" والمتمثلة في "**المنقذ**" و"**الشهاب**" ترافع في العديد من القضايا السياسية التي لها صلة بالوضع العام للبلد وما تقرره السلطات الاستعمارية، وكذلك إبداء الرأي فيما أفرزه نشاط الحركة الوطنية على الصعيد الداخلي والخارجي، وقد سخّرت الجمعية كل الصحف الناطقة باسمها في خدمة القضية الوطنية وكل مقوماتها، ومن بين صحف الجمعية كانت "**البصائر**".

1. البصائر: من أهم صحف الجمعية شهرة وانتشارا، صدرت في ديسمبر 1935، ويظهر أن الجمعية قد اتبعت من خلال جريدتها "**البصائر**" أسلوب اللّيونة اتجاه الإدارة الفرنسية في محاولة منها لتمرير أهدافها الإصلاحية في الدين والحياة، أما ثوابت الأمة فلم تكن الجمعية متساهلة فيها، فغالبا ما يكون ردها حازما وقويا إما على الإدارة الاستعمارية أو أحزاب الحركة الوطنية، فقضية التجنس والاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي عارضت الجمعية وقطعت الطريق عن النخبة المتفرنسة، وهذا ما جاء في "**البصائر**" في رد ابن باديس على فرحات عباس عندما أنكر وجود أمة جزائرية في الماضي "**ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليس هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا في لغتها وأخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة**".[2]

أما فيما يخص الإلحاق الإداري بفرنسا، فقد كانت الجمعية موافقة ليس رغبة فيه وإنما رغبة في حصول المجتمع الجزائري على حقوقه السياسية والاجتماعية، فقانون 1865قضى بذلك، لكن الخبث الاستعماري حال دون تطبيقه وتنفيذه كاملا، وقد نددت الجمعية من خلال جريدة "**البصائر**" فقالت "**باعتبارنا فرنسيين، لكنه نفذ تنفيذا جائرا، فيفرض علينا جميع الواجبات الفرنسية دون حقوقها، ولذلك فقد نهضت**

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص:253.
2-مجلة البصائر، السنة3، عدد95، 14جانفي 1938.

الأمة نهضتها بمؤتمرها الفخم وقررت فيه بالإجماع المحافظة التامة على مميزات الشخصية، والمطالبة بجميع الحقوق السياسية".[1]

وعلى إثر المؤتمر الذي انعقد في نادي الترقي وحضرته جميع القوى السياسة، تقدمت الجمعية بمطلبين أساسيين يتعلق الأمر الأول منهما باللغة العربية وضرورة تعليمها، وجعلها لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية، ويشمل الثاني الشؤون الدينية مثل تسليم المساجد وأوقافها إلى جمعيات إسلامية، وتأسيس كلية دينية لتخريج الموظفين، وتنظيم القضاء الإسلامي ورفع مستواه.[2]

ومع حلول سنة1938، عمدت الإدارة الفرنسية إلى التّضييق على الجمعية ومنع نشاطاتها إلا بأمر منها، وهذا بعدما أحس الفرنسيون أن الجمعية لها يد في المشهد السياسي الجزائري خاصة بعد اغتيال مفتي العاصمة، فأصدرت السلطات الفرنسية 1938 مرسوم يقضي بفرض الرقابة على نوادي جمعية العلماء ومنعها من أي نشاط ثقافي أو سياسي إلا بعد الحصول على الموافقة، ثم صدر مرسوم آخر يقضي بعدم السّماح لأي معلم فتح مدرسة إلا بعد الحصول على ترخيص، ثم صدر مرسوم آخر سنة1939يقضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض للأمن العام، وبذلك أصبح النشاط السياسي للجمعية متوقفا ويخضع للرقابة الفرنسية.[3]

ولم ترغب الجمعية منذ نشأتها اقتحام المعترك السياسي، فهي كانت تدرك جيدا أن المجتمع الجزائري في حاجة إلى تعليم وتهذيب وتنوير، وهذا ما يقتضيه فقه الأولويات عند علماء الجمعية وفقهائها، لكن تدخل الإدارة الفرنسية في المسائل الدينية وإنزالها في قوالب تخدم السياسة الاستعمارية، جعل من الجمعية ترفض ذلك وتطالب بفصل الدين عن الدولة، حيث كتب الإبراهيمي في "**البصائر**" منتقدا "**علمنا أن ذلك الطراز الذي نعرفه من حماة الاستعمار، لا يهنأ لهم بال ولا يطيب لهم منام إلا إذا أدخلوا أصابعهم في شعائرنا الدينية وأجروها كما يريدون لا كما نريد ويريد ديننا، وكانت السيادة على الأجساد والماديات لا ترضي أهوائهم الطاغية، إلا أن يفرض سيادته على الأرواح والتحكم فيها بين العباد وبين خالقهم**".[4]

وفي ظل تعنت الإدارة الفرنسية، كانت الجمعية تؤمن بالعمل الجماعي وتوحيد الكلمة والإصلاح بين الأحزاب الوطنية، لكن مع احترام ثوابت الأمة وانتماءاتها، ولذلك دعت من خلال "**البصائر**" القوى الفاعلة في البلاد للاتحاد، حيث جاء فيها: "**إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا يا قادة الأحزاب إن في مبادئكم دسائس**

1-مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد 32، 28 أوت 1936م..

2-مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد 32، 28 أوت 1936م.

3-مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد34، 11سبتمبر 1936م

4-البصائر 20أكتوبر 1947.

دخيلة من الأفكار تورث العداوة الحزبية بين الإخوة بحجة المحافظة على المبدأ فنبذوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف....إن الجمعية هي المخلص الوحيد لهذا المأزق الحزبي".[1]

ومن الحوادث التي نددت فيها الجمعية وكتبت فيها المقالات ، حوادث 8ماي1945، حيث كانت مقالات الإبراهيمي تتصدر "**البصائر**" يشكو فيها إلى الله الإرهاب الاستعماري في حق الشعب الجزائري الأعزل فقال: "**لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من استنجدت به في ساعة العسرة فأنجدك....واستصرختـه حين أيقنت بالعدم فأوجدك....ثم يقول: لله دماء بريئة أريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك، ولله أموال محترمة استبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل فيك..**".[2]

ولم تكن منشورات "**البصائر**" ومقالاتها تهتم بشأن الداخلي الجزائري فحسب، فالتواصل الروحي والفكري الذي كان يربط المغرب بالمشرق جعلها تسخر من صفحاتها للقضايا العربية والإسلامية، فكانت قضية فلسطين هي الجامعة والمفرقة للشعوب العربية والإسلامية، وهذا ما جعل أحزاب الحركة الوطنية وخاصة جمعية العلماء تولي اهتمام كبير لمسار القضية ومآلاتها، فقرار التقسيم الذي جعله الغرب حلا للقضية الفلسطينية علقت عليه الجمعية في "**البصائر**" تحت عنوان "**بيان إلى الشعب العربي الفلسطيني من اللجنة العربية العليا**"....**أن فلسطين بلد عربي ماضيه وحاضره، وقد صممت الأمة العربية على أن يبقى عربيا في مستقبله وإلى الأبد، فالحل العملي العادل لا يكون باغتصاب قطعة منه، وإعطائها لعنصر أجنبي دخيل... ليس في الوطن العربي أقسام للهبات والمنح....**"[3]كما علق الإبراهيمي على القرار في الجريدة نفسها"....أسفر الانتخاب عن تقسيم فلسطين تحديا للعرب، فكان حظ اليهود منها بغير انتخاب الجهات الخصبة ، وكان حظ العرب الجهات القاحلة، وكان حظ بيت المقدس إرثا لأحفاد الصلبيين..".[4]

وظلت "**البصائر**" تساير الوضع الجزائري والحال العربي الإسلامي، فتظهر ما يجب إظهاره وتدافع على ما يجب الدفاع عليه، حيث كان يميزها عن غيرها مستواها الرفيع ، وكذلك معالجتها لمواضيع الحساسة التي تخدم صلب القضية الوطنية ، فبعد قيام الثورة أفردت صفحة خاصة تحت عنوان "**الأزمة الجزائرية**"[5]، "ف**البصائر**" تعد رصيد تاريخي ضخم أرخت لفترة مهمة من تاريخ الجزائر بين الحربين، وكذلك نظرا للمصداقية التي تتصف بها فهي تعد مصدرا آمنا يؤخذ بعين الاعتبار في كتابة التاريخ الجزائري والعربي

1-البصائر: العدد 10، بتاريخ 13أكتوبر1947، ص: 02

2-البصائر: محمد البشير الإبراهيمي، مجازر 08 ماي1945، مقال يوم 10 ماي 1948.

3-جريدة البصائر، العدد112، السنة الثالثة، 06 ماي1938، ص:07

4-جريدة البصائر، محمد البشير الإبراهيمي: ونعود إلى فلسطين, عدد21، السنة ألأولى، السلسلة الثانية، 1948، ص01.

5-محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، المرجع السابق، ص:268

والإسلامي، ولظروف الحرب التحريرية ومتابعة الاستعمار لكل ما هو عربي ووطني ارتأت إدارة "**البصائر**" أن توقف صدورها وذلك سنة1956، بعد أن صدر منها366عددا.[1]

وهكذا ظلت المواجهة العنيفة التي سلكتها السلطات الفرنسية إزاء الحركة الوطنية وإعلامها مستمرة، إلا أن الأحزاب والمنظمات الوطنية توالت في الظهور واستمرت في النشاط، لاسيما خلال الثلاثينيات والأربعينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي يمكن فيها تحديد هوية التيارات السياسية بوضوح[2]حيث لم تخل أي قوة سياسية أو إصلاحية حينها من صحيفة تنقل أخبارها وتبدي آراءها، لكن الشيء الغالب في هذه الصحف أنها تسعى لغاية واحدة بمطالب وإيديولوجيات مختلفة، إلا أن هناك صحف تبنت أفكار الطرفين ومزاعمهم فشذّت عن القاعدة، فكانت جمعية علماء السنة المنشقة والمعارضة للإصلاح والمدعومة من الإدارة الفرنسية تطعن وتجرم وتتهم جمعية العلماء بالتدخل في السياسية ومسايرة الحداثة، فأصدرت العديد من الصحف لهذا الغرض منها "**الإخلاص**"، و"**المعيار**" التي كانت تستعمل العبارات الساقطة ضد رجالها[3]لكن لم تكن حدة الصراع بين الإصلاحيين والطرقيين تنزل إلى هذا الحد من المستوى إلا بإيعاز من الإدارة الفرنسية التي وجدت في الفكر الطرقي ضالتها فوقفت داعمة لجمعية السنة ولصحفها التي تصدر تباعا لهذا الغرض، وفي المقابل كانت الصحف الإصلاحية والوطنية ترد وتفند كل المزاعم التي كانت تُنشر في الصحافة الخادمة للسياسة الاستعمارية في الداخل والخارج، فقد ردت جمعية العلماء في مقال لبن باديس في "**البصائر**" على جريدة "**الطان الباريسية**" التي استهدفت في مقالاتها الشعب الجزائري ووحدته، ولفقت التهم لجمعية العلماء، حتى تقوم الإدارة الفرنسية بمحاصرتها وتعطيل نشاطها[4]، وقد تعرضت الجمعية فعلا للعديد من مضايقات الردعية التي كادت أن تكون سببا في حلها وبالتالي إيقاف نشاطها الإصلاحي لولا الحكمة والحنكة والتبصر ومراجعة العديد من القرارات قبل إصدارها، وهذا ما تقتضيه الممارسة السياسية في ظل التعسف الإداري الذي تفرضه الإدارة الفرنسية، فبالرغم من الإصدارات القانونية الغزيرة والمتعسفة لم تستطيع أن تنال من الإصرار والعزيمة الذي تحلى به رجالات الحركة الوطنية والإصلاحية وإعلامها، فقد كان نشاطهم يفوق حدود الزمان والمكان، ولذلك لم تقتصر الصحافة بكل أطيافها في خدمة القضية الجزائرية والوقوف الند لند في وجه الإعلام الفرنسي الاستعماري ودحض أكاذيبه فحسب ، بل بلغ بها المستوى مقارعة الصحافة العالمية، حيث سخّرت العديد من صفحاتها لخدمة القضايا العادلة في العالم أجمع، وعلى هذا

1-المرجع نفسه، ص:268

2-بوصفصاف عبد الكريم، المرجع السابق، ص:221.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص:261.

4-عبد الحميد بن باديس، رسالة جمعية العلماء المسلمين إلى الطان، جريدة البصائر، الجزائر، السنة الأولى، العدد9، ص:5.

الأساس وجد العلماء والمثقفون المغاربة في الصحف الجزائرية خلال هذه الفترة منبر للتعريف بقضيتهم والتعبير عن أفكارهم، ونشر قصائدهم، وقد قال أحدهم وهو محمد المكي الناصري "**عندما بدأت المواجهة وأصبح حديث الناس عن الكتب والمقالات التي تنشر، دخلت الصحافة في المعركة، ونحن في المغرب لا صحافة لنا، فأخذنا نستعمل الصحافة الجزائرية والتونسية وفي طليعتها "الشهاب" لبن باديس...**"."[1]

هذه الشهادة ماهي إلا اعتراف ضمني ليس للصحافة الجزائرية فقط، بل بضرورة وجود صحافة مرافقة لجميع الحركات التحررية في العالم.

الخاتمة:

بعد هذا العرض للمسار لنشاط الحركة الوطنية من خلال أرشيفها الصحفي ، نخلص إلى النتائج التالية:

أولا: قامت الحركة الوطنية الجزائرية بالتعريف بالقضية الجزائرية وبمطالبها من خلال العديد من الجرائد الجزائرية ذات التوجهات السياسية المختلفة، وهذا ما يجعل المؤرخين والباحثين العودة الى هذا الأرشيف عند البحث في تاريخ الحركة .

ثانيا: نقل معاناة الشعب الجزائري لكل شعوب العالم، وفضح السياسية الاستعمارية في المحافل الدولية.

ثالثا: التعريف بمقومات الأمة الجزائرية، ومحاربة الجهل والبدع والخرافات، وذلك بنشر الإسلام الصحيح المعتدل، وقد تولى ذلك الصحافة الإصلاحية.

رابعا: الوقوف في وجه الطرقيين وفضح تآمرهم وتواصلهم مع السلطات الفرنسية.

خامسا: الوقوف في وجه قوانين الإدارة الفرنسية الجائرة التي كانت تصدر تباعا، وخاصة فيما يتعلق بالتجنس والإدماج والتجنيد الإجباري.

سادسا: التنديد الصحف الجزائرية بالاعتقالات في صفوف زعماء الحركة الوطنية، والمطالبة باحترام النضال السياسي للأحزاب الوطنية وحرية التعبير.

سابعا: الرد على الصحف الفرنسية، وإبطال كل التهم الموجه للحركة الوطنية وقادتها.

ثامنا: الوقوف في وجه الانحرافات الإيديولوجية الصادرة عن رؤساء بعض الأحزاب والتي تمس بثوابت الأمة الجزائرية وبتاريخها، وقد تصدّت صحافة جمعية العلماء المسلمين لذلك.

1-مولود عويمر، التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، منشورات مؤسسة الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص:45

تاسعا: الدفاع عن قضايا الأمة العربية والإسلامية والتنديد بالسياسة الامبريالية العالمية التي تسعى للهيمنة على بعض الأقطار العربية، وقد كانت فلسطين ضحية هذه السياسة.

عاشرا: تسخير بعض من صفحاتها لنشر مقالات سياسية واجتماعية لبعض المصلحين والعلماء والصحفيين من دول الجوار كتونس والمغرب.

وبهذا نكون قد تطرقنا إلى أهم محطات لحركة الوطنية وانجازاتها بين الحربين الأولى والثانية، وحتى بعد الحربين لم يتوقف نشاط الحركة الوطنية لحظة وقد كانت الصحافة وسيلتها الناجعة في التشهير بذلك، بل كانت رفيق النضال السياسي في كل نكباته ونكساته وسقطاته إلى أن بلغ مرحلة التمثيل الفعلي للشعب الجزائري برمته في كامل المفاوضات مع فرنسا، وهناك العديد من الإنجازات التي حققتها الحركة الوطنية لم نتطرق لذكرها، لكن حتما تكون متوفرة في الأرشيف الصحفي إذا ما أراد الباحثون الرجوع إليها، حيث لا يتسع هذا المقال لذكرها، ولذلك لابأس أن تكون توصياتنا للمؤرخين والكتاب والمثقفين والنقاد نحث فيها على عدم إهمال هذا الأرشيف الصحفي بلغتيه العربية والفرنسية وحتى أرشيف الصحافة الاستعمارية باعتبار هذا الأرشيف مصدر تاريخي مهم قد يساهم بقسط وافر في كتابة التاريخ الجزائر في العهد الكولونيالي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 4، ت ط1992، ج2، ج3.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي بيروت-لبنان، ط1، ت ط1998، ج5.

3- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر1830-1962، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، ت ط2007.

4- أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود ومحمد عباس، دار القصبة للنشر، الجزائر.

5- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ت ط1986، ج1.

6- بو صفصاف عبد لكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية(1931-1945)، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، ت ط1401-1981

7- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر، ج1

8- جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحررية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، ط3 ، دار العرب، القاهرة، 1993 .

9- زبير سيف الإسلام، رواد الصحافة الجزائرية، مطبعة دار الشعب بالقاهرة، ط 1، ت ط1401ه/1981م

10- زبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ت ط:1982.

11- صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين ، وزارة الثقافة ، قسنطينة، الجزائر.

12- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

13- عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دار هومة، الجزائر، ج2، ت ط2009.

14- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، ت ط 1997.

15- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج1 ، ط1 ، دار اليقظة العربية، الجزائر، 1996 .

16- عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر 1954 -1962، المؤسسة الوطنية للكتاب

17- محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ألفا ديزاين، قصر المعارض، الجزائر، ط 2، ت ط1427ه/2006.

18- محمد حمدان وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

19- محمد الصالح خرفي، تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر مجلة آمال نموذجا، طريق الدورية بابا حسان، الجزائر.

20- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد وصالح المثلوني، دار موفم للنشر، الجزائر.

21- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1939)، تر: أمحمد بن البار، وزارة المجاهدين، الجزائر، ج1

22- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ت ط 2003

23- مولود عويمر، التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، منشورات مؤسسة الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر

24- هنري علاق، مذكرات جزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

25- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

ثالثا: الصحف والمجلات باللغة العربية:

1- عبد القادر كرليل، تطور الصحافة الوطنية (1919-1939)، مجلة مصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد13، 2006

2- عبد القادر كرليل، واقع الصحافة الوطنية1945-1954، مجلة مصادر، العدد14، السداسي الثاني2006.

3- عبد الحميد بن باديس، رسالة جمعية العلماء إلى الطان، جريدة البصائر، الجزائر، السنة الأولى العدد 9.

4- مصطفى أو عامري، الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية(1920-1954)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 21 ، جوان 2016م، جامعة تلمسان، الجزائر.

5- وليد بوشو، الحكومة العامة وتطورها ضمن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر(1830-1939)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة الجزائر02، أبو القاسم سعد الله، المجلد05، العدد02، السنة2021.

6- البصائر 26ماي 1952.

7- مجلة البصائر، السنة3، عدد95 ، 14جانفي 1938.

8- مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد 32 ، 28 أوت 1936م..

9- مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد 32 ، 28 أوت 1936م.

10- مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد34 ، 11سبتمبر 1936م

11- البصائر 20أكتوبر 1947.

12- البصائر: العدد 10 ، بتاريخ 13أكتوبر 1947 .

13- البصائر: محمد البشير الإبراهيمي، مجازر 08 ماي1945 ، مقال يوم 10 ماي 1948.

14- جريدة البصائر ، العدد112 ، السنة الثالثة ، 06 ماي1938 .

15- جريدة البصائر، محمد البشير الإبراهيمي: ونعود إلى فلسطين, عدد21 ، السنة ألأولى، 1948.

16- جزائر الجديدة، العدد98.

17- جزائر الجديدة ، العدد 83 .

18- جزائر الجديدة، العدد السادس، السنة الأولى، ديسمبر1136 .

19- الجزائر الجديدة، العدد السابع، السنة الثانية، جانفي 1133 .

20- الجزائر الجديدة ، أوت1948.

21- الجزائر الجديدة ، العدد 83 .

رابعا: صحف ومجلات باللغة الفرنسية:

1- Ammar el hadj, Les élections et les jeunes algériens L'Ikdam n 34 17 november1919.
2- La voix des humbles n°54 ; 1927 : 7
3- La voix des humbles n°1 ; 1922 : 1-2
4- La voix des humbles n°2 ; 1922 : 6-7
5- La voix des humbles n°3 ; 1922 : 4
6- La voix des humbles n°01. 1922 : 5
7- La Voix des humbles , n42 , 1926.
8- Egalité , 13 janvier 1947.
9- Egalité, 13 janvier 1947.
10- Egalité, 06 septembre 1946
11- Egalité, 10 octobre 1947.
12- Egalité, 07 mai 1948
13- Egalité, 09 juin 1948.
14- Egalité, 21 mai 1948.
15- Alger Republican, 02 October 1948.
16- Alger Républicain, 15 mai 1952.
17- Alger Républicain, 16 mai 1952.
18- Alger Républicain, 17 mai 1947

خامسا: الرسائل الجامعية:

1- جمعة بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة للثورة الجزائرية1954-1962، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الدراسية2011-2012.

2- سليمان بن رابح، العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين(1939/1919)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر2008/2007م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الدراسية2007-2008.

3- -صافر فتيحة، حركة الشباب الجزائريين ظهورها وتطورها فيما بين1900و1930، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة أحمد بن بله1، وهران، الجزائر، السنة الدراسية2015-2016.

4- عبد السلام عكاش، الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية والجزائرية 1945-1954، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر.